

# النبوة

في القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام

السيد حكمت أسد الموسوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## كلمة المصير

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين الذين اذهب الله عنهم

الرجس و طهرهم تطهيراً

قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. (بقره: ٢٨٥).

الشهادة برسالة النبي الخاتم محمد المصطفى ﷺ بعد الإقرار بالتوحيد، هي الركن الأساسي للإيمان؛ فمن اعترف بالتوحيد و أدى جميع واجباته الشرعية التكليفية و لكن أنكر نبوة النبي الأكرم ﷺ و خاتمته، لا يقبل عند الله إيمانه و عمله. من ناحية أخرى يجب على المؤمن الإيمان بنبوة جميع الأنبياء المبعوثين من قبل الله تعالى لهداية الإنسان.

لذا تحظى النبوة في المنظومة العقائدية الإسلامية بمكانة خاصة. و يجب أن يدرس هذا الموضوع و يدقق بشكل صحيح. و قد تطرق المحقق الفاضل سماحة السيد حكمت الموسوي إلى الزوايا المختلفة لهذا الموضوع من منظار القرآن الكريم و روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و قام ببيان المباحث المتعلقة بالنبوة العامة و أدلة حاجة البشر إلى النبي و النبوة، ثم تناول النبوة الخاصة و عرض جملة من صفات النبي ﷺ و ميزاته

الأخلاقية؛ وأخيراً أجاب على الشبهات المتعلقة بالنبوة.

يُقدّم قسم الكلام و المعارف التابع لمعهد الحجّ و الزيارة هذا الكتاب إلى القراء الأعضاء، على أمل أن يكون ذا فائدة لأجل تعرّف كافة أبناء الأمة الإسلامية على الأفكار الراقية المستوحاة من مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما يأمل أن يكون خطوة من أجل المزيد من التواصل و التفاهم بينهم. نسأل الله تعالى أن يمنح الكاتب مزيداً من التوفيق و النجاح خدمةً للدين و مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

معهد الحجّ و الزيارة

قسم الكلام و المعارف

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. النبوة ظاهرة ربانية في حياة الإنسان تحقق له الهدف من خلقه وإيجاده وهو عبادة الله تعالى والأخذ العبد إلى جادة الصواب وحلّ الإشكالات التي تعترض طريقه في شتى جوانب الحياة؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ \* أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

فاختار الله سبحانه الأنبياء والرسل لأجل هذا الهدف العظيم، وحملهم رسالته إلى جميع أفراد النوع الإنساني، وبواسطة هؤلاء الرجال جرى فيض الهداية من جانب الحق تعالى إلى عباده، والناس في جميع أحوالهم ليسوا في غنى أبداً عن الهدايات الإلهية؛ بل إنهم بحاجة مستمرة وملحة إليها.

فالمجتمع بحاجة دوماً إلى قانون متكامل ينتظم تحته؛ شاملاً لجميع جوانب الحياة المختلفة، وهذا بدوره يحتاج إلى يكون المقتن على معرفة تامة بمن وضع له القانون؛ وهو الإنسان، ولن نجد في الوجود موجوداً أعرف بالإنسان من خالقه، فإنّ الصانع أعرف بالمصنوع من غيره، يقول سبحانه: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ<sup>(١)</sup>.

فإن كان استقرار الحياة الاجتماعية للبشر متوقفاً على التقنين الإلهي، فواجب في حكمته تعالى إبلاغ تلك القوانين إليهم بواسطة أحدٍ منهم وإرساله إليهم، والحامل لرسالة الله سبحانه هو النبي المنيء عنه، والرسول المبلّغ إلى الناس، حفظاً للنظام المتوقف على التقنين الكامل، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم إنَّ أهمَّ ما يحتاج الإنسان إلى معرفته للوصول إلى الحياة الطيبة والسعادة الواقعية؛ أمران: معرفة الله سبحانه، ومعرفة مصالح الحياة ومفاسدها، والمعرفة الكاملة لهذين المجالين لا تحصل للإنسان إلا في ضوء الوحي وتعاليم الأنبياء عليهم السلام، وأما العلوم الإنسانية فهي غير كافية فيها.

أما العلم الإنساني وحده فهو قاصر عن تشخيص منافع المجتمعات ومضارها، فالمجتمع الإنساني مع ما وصل إليه من العلم لم يقف بعد على النظام الاقتصادي الأمثل، فطائفة تزعم أن سعادة البشر في نظام الرأسمالية والاقتصاد الحر المطلق، والأخرى تدعي أن سعادة البشر تكمن في النظام الاشتراكي وسلبت الملكية عن أدوات الإنتاج وفوضتها إلى الدولة الحاكمة.

ونرى أيضاً أن الإنسان - مع ما يدعيه من العلم والمعرفة - لم يدرك بعد عوامل سعادته وشقائه، بشهادة أنه يشرب المسكرات، ويستعمل المخدرات، ويتناول اللحوم الضارة، كما يقيم اقتصاده على الربا الذي هو عامل إيجاد التفاوت الطبقي بين أبناء المجتمع.

كما أنه لم يصل بعد إلى وفاق في مجال الأخلاق، وقد تعددت المناهج الأخلاقية في

(١) الملك: ١٣ - ١٤.

(٢) الحديد: ٢٥.

العصر الأخير إلى حدّ التضادّ فيها.

عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله أحد الزنادقة قائلاً: من أين أثبتّ الرسل والأنبياء؟ قال عليه السلام: «إنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته»<sup>(١)</sup>.

فمن عرف الله وآمن به، لا بدّ له من معرفة ما انتهجه للبشرية ليسيروا عليه ويأمنوا من الضلال والانحراف عن الطريق الصحيح، فانتدب لهذا رجالاً اصطفاهم من بين جميع خلقه وأدلاء عليه وهم الأنبياء عليهم السلام، فأيدهم بالكتاب والحكمة ليعلموا الناس أحكام الله تعالى ولا تخلو الأرض من حجة.

عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابةً أحسنهم معرفةً، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجةً في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

إنّ البحث عن النبوة أمر يستمدّ قدسيّته من عظمة تبليغ أحكام الله عزّ وجلّ، ولا بدّ

(١) الاحتجاج للشيخ الطريسي، ج ٢، ص ٧٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٦، ح ١٢.

للإنسان أن يستلهم من هذا المنهل العذب والأريج العطر في كل وقت وزمان للبقاء على عهد الله تعالى والثبات على طريق الحقّ والصلاح، كيف لا! وكلّ ما لدينا من المعارف وكنوز العلم والأخلاق إنّما يأتي عن هذا الطريق المقدّس، فالنبوة حبلٌ من الله تعالى ممتدٌّ إلى خلقه، ليرتقي بهم إلى سلّم الكمال والسعادة الأبدية.

لذا نجد أن آيات القرآن المجيد وروايات أهل البيت قد تناولت موضوع النبوة من جميع جوانبها وأولتها اهتماماً بالغاً، وعرّفت بالأنبياء والرسل ودعت إلى معرفة واتباع منهجهم القويم وسيرتهم الحميدة، وقد كُتب في هذا المجال كثير من الكتب والبحوث وكلّ منها تُعدّ محاولات لفهم هذا المنبع المقدّس والمسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان تجاه ما جاء به أنبياء الله جلّ وعلا، والبحث المائل بين يدي القارئ الكريم لا يعدو هذا الأمر، نرجو من الله المتّان حسن القبول ببركة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

## الفصل الأول: بهوت عامة (التعريف بمفردات

### الموضوع والاصطلاحات ذات الصلة)

#### النبوة

##### النبوة في اللغة

النبوة في اللغة من مادة (نبو) واوياً، من الارتفاع والعلو، فمعنى النبوة الرفعة، ومعنى النبي الرفيع، وقيل: مشتقة من النبأ مهموزاً؛ وهو الخبر المفيد لفائدة عظيمة، والأول الأنسب في المقام والأبلغ فليس كل منبئ رفيع القدر والمحل، كما صرح به في المفردات قائلاً: «النبيُّ بغير همز، فقد قال النحويون: أصله الهمزُ فترك همزه، واستدلوا بقولهم: مُسَيَّلِمَةٌ نُبِيٌّ سَوٌّ. وقال بعض العلماء: هو من النَّبَوَةِ، أي: الرَّفْعَةِ، وسمي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾<sup>(١)</sup>. فالنبيُّ بغير الهمز أبلغ من النبيِّء بالهمز، لأنه ليس كل منبئ رفيع القدر والمحل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال: يا نبيِّء الله فقال: «لَسْتُ بِنَبِيِّءِ الله ولكن نبيُّ الله»<sup>(٢)</sup> لما رأى

(١) مريم: ٥٧.

(٢) جاء الحديث في معاني الأخبار للشيخ الصدوق، صص ١١٣ و ١١٤، ح ١، باب معنى النبوة، هكذا: «عن ابن عباس، قال: قال أعرابي لرسول الله ﷺ: السلام عليك يا نبي الله. قال: لست بنبيء الله ولكنني نبي الله».

أَنَّ الرَّجُلَ خَاطِبُهُ بِالْهَمْزِ لِيُعْضَّ مِنْهُ. وَالنَّبُوءَةُ وَالنَّبَاؤَةُ: الِارْتِفَاعُ..»<sup>(١)</sup>.

وذكر في المحيط: «النَّبُوءَةُ وَالنَّبَاؤَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ»<sup>(٢)</sup>.

قال في معجم المقاييس: «النون والباء والحرف المعتلُّ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في الشيء عن غيره أو تَنَحُّ عنه..»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في تاج العروس في أصل اشتقاق (النبوة) الاصطلاحية: «... وقال سيبويه: الهمزُ في النبيِّ لغةٌ رديئةٌ، يعني لِقَلَّةِ استعمالها، لا لِأَنَّ الْقِيَّاسَ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ...»<sup>(٤)</sup>.

لهذا، قال في التحقيق في أصل مادة (نبو): «أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي الْمَادَّةِ: هُوَ ارْتِفَاعٌ عَمَّا مِنْ شَأْنِ الشَّيْءِ أَنْ يَنْخَفِضَ» ثم استطرده قائلاً: «ومن مصاديق الأصل مقام النبوة وهو ارتفاع واعتلاء في شأن إنسان من جهة الروحانية والمعنوية، ذاتية واكتسابية، مع كونه على فطرة بشر كسائر أفراد الإنسان. ومن لوازم هذا الاعتلاء: الإحاطة على مراتب عالم المادة والطبيعة، والارتباط بعوالم ما وراء المحسوس والظاهر، ونزول الوحي من جانب الله عزَّ وجلَّ إليه، والاشراف على المعارف والحقائق..»<sup>(٥)</sup>.

وعلَّل ذلك بقوله: «... ولا يصحَّ الأخذ من النبا: فأولاً - إنه يحتاج إلى قلب الهمزة وهو خلاف الأصل. وثانياً - إنَّ الإخبار عن الله تعالى بنحو الإطلاق لا يفيد مقاما رفيعاً خاصاً إلا في جهة كونه مخبراً من حيث هو، وهذا بخلاف مادة النبو فاتَّها تدلُّ على ارتفاع في الشيء ورفعة مطلقة. وثالثاً - إنَّ مفهوم النبا لا يستقيم إرادته في بعض الموارد، كما في: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُوتِيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup>. فإنَّ النبيَّ إذا كان بمعنى المخبر عن الله تعالى، فكيف يتصوَّر

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٩٠، مادة (نبو).

(٢) المحيط في اللغة، الصحاح بن عباد، ج ١٠، ص ٤٠٣ و ٤٠٤، مادة (نبو).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٣٨٤ - ٣٨٥، مادة (نبو).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١، ص ٢٥٥، مادة (نبا).

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ج ١٢، ص: ١٦، مادة (نبو).

(٦) آل عمران: ٧٩.

في تلك الحالة التي يعترف بكونه واسطة إخبار وأنه عبد لله: أن يدعى الوهيّة ويدعو الناس الى عبوديته، وهذا بخلاف مقام العلوّ والرفعة الذاتيّة، فيتصوّر فيه هذه الدعوة، مضافاً الى سبقها في العبريّة.. ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾<sup>(٥)</sup>. ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾<sup>(٦)</sup> يراد حكاية من مجارى الأمور الماضية وتلاوة ممّا سبق من الأحاديث والقضايا الجارية. ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾<sup>(٧)</sup>. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٨)</sup>. ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾<sup>(٩)</sup> فالإنباء إفعال ويدلّ على نسبة الفعل الى الفاعل وقيامه به. والتنبئة تفعيل ويدلّ على جهة وقوع الفعل ونسبته الى المفعول به، فالنظر في الأفعال الى جهة الصدور، وفي التفعيل الى جهة الوقوع. وهذه الجهات ملحوظة في هذه الآيات الكريمة وفي سائر موارد الاستعمال. وأمّا صيغة الاستفعال: فتدلّ على الطلب والسؤال. فظهر أنّ التعبير بهادّة النبأ أو الخبر، كلّ منها في مورد متناسب<sup>(١٠)</sup>.

أمّا في معنى مفردة (نبأ)؛ فذكر النحويون أنّه: «خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب»<sup>(١١)</sup>.  
وجاء في العين: «النبأ، مهموز: الخبر، وإن لفلان نبأ، أي: خبراً.. والفعل: نبأته

(١) مائده: ٢٧.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) حجرات: ٦.

(٤) آل عمران: ٤٤.

(٥) طه: ٩٩.

(٦) اعراف: ١٠١.

(٧) بقره: ٣٣.

(٨) تحريم: ٣.

(٩) يونس: ٥٣.

(١٠) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٢، صص ١٢ - ١٥، مادة (نبأ).

(١١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٠٠.

وأنبأته واستنبأته، والجميع: الأنباء. والنبأ: النغية، وهو صوت يشك فيه ولا يتيقن... والنبوة، لو لا ما جاء في الحديث لهمز، والنبى صلى الله عليه و[على] آله وسلم ينبئ الأنباء عن الله عز وجل. والنبى، يقال: الطريق الواضح يأخذك إلى حيث تريد...<sup>(١)</sup>. وقال في مقاييس اللغة: «النون والباء والهزمة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان. يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرضٍ نابئٌ. وسيلٌ نابئٌ: أتى من بلدٍ إلى بلدٍ ورجل نابئٌ مثله... ومن هذا القياس النَّبَأُ: الخبر، لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكان. والمُنْبِئُ: المُخْبِرُ. وأنبأته ونَبَّأته...»<sup>(٢)</sup>.

وقال في لسان العرب: «النَّبَأُ: الخبر... وقيل: النَّبِيُّ مشتق من النَّبَاةِ، وهي الشَّيْءُ الْمُرْتَفِعُ...»<sup>(٣)</sup>.

ويخلص من البحث اللغوي أعلاه أنَّ الأنسب في مقام النبوة القول بالعلو والرفعة في أصل اشتقاق النبوة والنبى - المبحوث عنهما -؛ أي: إتيانها من مادة (نَبَوَ) لا (نَبَأَ) المتضمنة صرف معنى الإخبار أو الإخبار عن فائدة بلا تعرُّض إلى منزلة المخبر، لهذا فقد يأتي به من ليس له خطر وشأن، أمَّا في الاشتقاق الأوَّل (نَبَوَ) فيمكن استنتاج فائدة الخبر من علو منزلة المخبر ودرجته العالية وإلا لما كان له علوٌ وسموٌ في المقام، كما هو واضح.

### النبوة في الاصطلاح

بعد أن بيَّنا المعنى اللغوي لمفردة (النبوة) و(النبى) وأتتهما من مادة (نَبَوَ) وهو من الارتفاع والعلو، يتضح هذا المعنى أكثر في المعنى الاصطلاحى لمعنى (النبوة) و(النبى). فالنبوة في الاصطلاح الشرعى هي: «سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) كتاب العين، ج ٨، ص ٣٨٢، مادة (نَبَأَ).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٣٨٥، مادة (نَبَأَ).

(٣) لسان العرب، ج ١، صص ١٦٢ - ١٦٤، مادة (نَبَأَ).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٨٩، مادة (نَبَأَ).

أما النبي شرعاً - ويُعلم أيضاً من معنى النبوة - فهو: «الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر أعم من أن يكون له شريعة كمحمد ﷺ أو ليس له شريعة كيحيى عليه السلام مأموراً من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم أم لا. والرسول هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة من البشر وله شريعة إما مبتدئة كآدم عليه السلام أو تكملة لما قبلها كمحمد - صلى الله عليه وآله - مأمور من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم»<sup>(١)</sup>.

فبقيد (الإنسان) يخرج الملك، وبقيد (المخبر عن الله) يخرج المخبر عن غيره، وبقيد (عدم واسطة أحد من البشر) يخرج الإمام والعالم، فإنهما مخبران عن الله تعالى بواسطة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

«... فالأولى أن يقال في تعريف النبي بحسب الاصطلاح: هو إنسان كامل مخبر عن الله تعالى بالوحي، إذ الوحي مختص بالأنبياء، وهو نوع رابطة وقعت بينه وبين أنبيائه. ولم تكن هذه الرابطة مشابهة للروابط المعمولة للتفهم والتفهم من التعقل والتفكر والحدس ونحو ذلك، بل هي أمر وراء تلك الأمور المتعارفة البشرية ومع ذلك لا يمكن لنا إدراك الفرق بين الوحي والهام، وكيف كان فالأول مختص بالأنبياء دون الثاني»<sup>(٣)</sup>.

والمحصلة أنّ النبوة في المعنى الاصطلاحي الشرعي هي سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم، بنوع رابطة وقعت بينه وبين أنبيائه يعبر عنها بالوحي.

فالنبوة هي اصطفاء خاص من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده الذين توفرت

(١) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص ٣٥.

(٢) انظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، ص ٨٢.

(٣) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ج ١، ص ٢١١.

فيهم صفاتها، فهي لا تنال بالمجاهدة والمعاناة، وتكلف أنواع العبادات أو الاجتهاد في تهذيب النفوس وتنقية الخواطر وتطهير الأخلاق بأنواع الرياضات النفسية والبدنية. فالإنسان يستطيع أن ينمي مواهبه المختلفة، فيصبح رياضياً بارزاً أو عالماً موقفاً أو عابداً مخلصاً، غير أنه لا يستطيع بكل ذلك أن يكون نبياً رسولاً، فالنبوة بذاتها مرتبة فوق مرتبة البشر العاديين لأنها خارج الحدود التي يستطيعون الوصول إليها باجتهاداتهم، فالذي يختاره الله تعالى يؤهل بعنصر لا يحتاج للبشر العاديين، ذلك هو الاتصال بالله تعالى عن طريق الوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾<sup>(١)</sup>.

والوحي أمر إلهي محض لا أثر لسعي المرء فيه؛ فلا ينال الإنسان النبوة بالجهد الفكري أو الرقي الروحي والأخلاقي، ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية فالله تعالى قد اختص بالنبوة من شاء في الزمان الذي شاء وفقاً لحكمته وعلمه ورحمته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾<sup>(٤)</sup>، وقال سبحانه في وصف الرسل جميعاً: ﴿وَاتَّهَمُوا عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾<sup>(٥)</sup>.

والبحث في النبوة يقع على صورتين:

أ- البحث عن مطلق النبوة، وهو ما يُصطلح عليه بـ (النبوة العامة).

ب- البحث عن نبوة نبيّ خاص، كنبوة سيدنا محمد ﷺ، وهو ما يُصطلح عليه بـ

(النبوة الخاصة).

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الحج: ٧٥.

(٣) الانعام: ١٢٤.

(٤) الأعراف: ١٤٤.

(٥) ص: ٤٧.

## الوحي

الوحي من لوازم النبوة، وهو في اللغة: «الكتاب،... وَالْوَحْيُ أَيضاً: الإِشَارَةُ، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقىته إلى غيرك...»<sup>(١)</sup>.

وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿فَحَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قيل: رمز. وقيل: أشار، وقيل: كتب، وعلى هذه الوجوه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>. والإلهام، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾<sup>(٦)</sup>، والتسخير، نحو قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾<sup>(٧)</sup>. وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾<sup>(٨)</sup>، فحث على التثبت في السماع، وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتلقنه.<sup>(٩)</sup>

وأما معنى الوحي في الاصطلاح، فقد عرفه العلامة الطباطبائي رحمه الله بقوله: «وهو نوع تكليم إلهي تتوقف عليه النبوة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾»<sup>(١٠)</sup><sup>(١١)</sup>.

(١) الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، صص ٢٥١٩ و ٢٥٢٠، مادة (وحي).

(٢) مريم: ١١.

(٣) الأنعام: ١١٢.

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) الناس: ٤.

(٦) القصص: ٧.

(٧) النحل: ٦٨.

(٨) طه: ١١٤.

(٩) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، صص ٨٥٨ - ٨٦٠، مادة (وحي).

(١٠) النساء: ١٦٢.

(١١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٤٧.

وقال ﷺ أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>: «والمعنى ما كان لبشر أن يكلمه الله نوعاً من أنواع التكليم، إلا هذه الأنواع الثلاثة: أن يوحى وحيًّا، أو يكون من وراء حجاب، أو أن يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء. ثم إن ظاهر الترديد في الآية بـ «أو» هو التقسيم على مغايرة بين الأقسام، وقد قيد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب والرسول الذي يوحى إلى النبي، ولم يقيد القسم الأول بشيء، فظاهر المقابلة يفيد أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي أصلاً، وأما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد، وهو الحجاب أو الرسول الموحى وكل منهما واسطة، غير أن الفارق أن الواسطة الذي هو الرسول يوحى إلى النبي بنفسه، والحجاب واسطة ليس بموح، وإنما الوحي من ورائه - إلى أن قال - : ولما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة إليه تعالى على اختلافها، صح إسناد مطلق الوحي إليه بأي قسم من الأقسام تحقق، وبهذه العناية أسند جميع الوحي إليه في كلامه، كما قال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾<sup>(٢)</sup> والحاصل أن الوحي بجميع أقسامه مختص بالنبي، وعليه أجمعت الأمة الإسلامية. نعم قد يطلق الوحي على الهداية التكوينية كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾<sup>(٣)</sup> ولكنه بالعناية والمجاز لظهور الوحي في عرف المتدينين بالأديان الإلهية من بدو مجيء الأنبياء والرسول فيها ذكر من أنه نوع رابطة أو كلام خفي بين الله تعالى وبينهم بواسطة أو بدونها»<sup>(٤)</sup>.

(١) الشورى: ٥١.

(٢) النساء: ١٦٣.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٤٠.

يقول العلامة السيّد مرتضى العسكري رحمته الله: «الوحي في المصطلح الاسلامي: كلمة الله - جل اسمه - التي يلقيها الى أنبيائه ورسله بسماع كلام الله - جل جلاله - دونها رؤية الله - سبحانه - مثل تكليمه موسى بن عمران عليه السلام، أو بنزول ملك يشاهده الرسول ويسمعه مثل تبليغ جبرائيل عليه السلام لخاتم الأنبياء عليه السلام، أو بالرؤيا في المنام مثل رؤيا إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، أو بأنواع أخرى لا يبلغ إدراكها علمنا»<sup>(١)</sup>.

قال المحقق آية الله الشيخ محمد هادي معرفة في موسوعته القرآنية ما مفاده: وبما أن الوحي ظاهرة روحية، فإنه بأيّ أقسامه اتفق فإنما كان مهبطه قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، أي شخصيته الباطنة - الروح - . قال عزّ من قائل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال جلّ جلاله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. والقلب هو لبّ الشيء وحقيقته الأصلية<sup>(٤)</sup>.

فعلى هذا يكون الوحي حالة من الاتصال الروحي للنبي بعالم الغيب لتلقّي وإدراك المعارف والتعاليم الإلهية الحقيقية، بالطرق التي بيّنها الله تعالى في كتابه المجيد، ويدرك النبي الوحي بالكلام والرؤية، أو من غير مشاركة للحواس الجسدية المادّية.

### الفرق بين النبوة والرسالة

إنّ النبي والرسول كلاهما مرسلان إلى الناس، غير أن النبي بعث لينبئ الناس بما عنده من نبأ الغيب لكونه خبيراً بما عند الله، والرسول هو المرسل برسالة خاصة زائدة على أصل

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين، السيد مرتضى العسكري، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) البقرة: ٩٧.

(٣) الشعراء: ١٩٣ و١٩٤.

(٤) التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٠.

نبأ النبوة، كما يشعر به أمثال قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا، فالنبي هو الذي يبيّن للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما اقتضته عناية الله من هداية الناس إلى سعادتهم، والرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إتمام حجة يستتبع مخالفته هلاكاً أو عذاباً، قال تعالى: ﴿لَقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالرسول لا بدّ أن يكون نبياً فإذا انتفت النبوة انتفت الرسالة أيضاً، ولا عكس.

عن زرارة قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك. قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ...﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

قال المازندراني في شرح الحديث الشريف: «قوله: (قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك) أي النبي الذي يرى الملك في منامه أو يرى الرؤيا فيه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ويسمع صوت الملك في اليقظة ولا يعاينه»<sup>(٦)</sup>.

وعن الحسن بن محبوب، عن الأحول قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث، قال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً<sup>(٧)</sup> فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) مريم: ٥١ و ٥٤.

(٤) الأنبياء: ٢٥.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٧٦.

(٦) شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ٥، ص ١١٥.

(٧) أي: مقابلةً وعياناً.

فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وسلم حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يبيئه بها جبرئيل ويكلمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه، من غير أن يكون يرى في اليقظة...»<sup>(١)</sup>.  
قال المازندراني: «قوله: (وحيث جمع له النبوة - الخ) أي حين جمع له أسباب النبوة من الرؤية في المنام وسماع الصوت من غير معاينة وغيرها مما أوحاه جبرئيل (عليه السلام) وكلمه عياناً ومواجهة فهو نبي ورسول. ومن الأنبياء من جمع له أسباب النبوة ولم يعاين الملك في اليقظة فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص مطلقاً من النبي»<sup>(٢)</sup>.

يقول السيد محسن الخارزي في هذا الشأن: «فالنسبة بين النبي والرسول هي العموم والخصوص المطلق مورداً إذ كل رسول نبي دون العكس، لجواز أن يكون النبي غير رسول كما لا يخفى. وعليه فمقام النبوة غير مقام الرسالة وإن كان بحسب المورد تقع الرسالة إلا في مورد النبوة [...] ومما ذكر يظهر الجواب عن وجه تقديم عنوان الرسول على عنوان النبي في الآية الكريمة ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> إذ لو كان مفهوم النبوة أعم من الرسالة لزم أن يكون متقدماً عليها في الذكر كما لا يخفى»<sup>(٤)</sup>.

### المعجزة ودلائلها

يُعدّ البحث عن المعجزة من الأبحاث المهمة المتعلقة ببحث النبوة؛ حيث إنّ المسألة الأساس في بحث النبوة هي كيفية إثبات صدق دعوى الأنبياء الحقيقيين وتمييزها عن دعوى المدّعين الكاذبين، فقد احتلّ البحث عن المعجزة مكاناً مهماً، فعن الإمام

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٧٦.

(٢) شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ٥، ص ١١٨.

(٣) مريم: ٥١ و ٥٤.

(٤) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ج ١، ص ٢١٣.

الصادق عليه السلام أنه قال في كلام له: «... والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه، ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب»<sup>(١)</sup>.

### تعريف المعجزة

المعجزة عبارة عن الأمر الخارق للعادة، تظهر من مدعي النبوة بإرادة الله، وتكون دليلاً على صدق دعواه.<sup>(٢)</sup>

والملاحظ في هذا التعريف أنه يشتمل على عناصر ثلاثة؛ هي:

١ - وجود بعض الظواهر الخارقة للعادة، والتي لا يمكن أن توجد من خلال الأسباب والعلل العادية.

٢ - ظهور بعض هذه الأمور الخارقة للعادة، من الأنبياء بالإرادة الإلهية، وبإذن خاص من الله تعالى.

٣ - إنّ مثل هذا الأمر الخارق للعادة، يمكن أن يكون دليلاً على صدق دعوى النبي، وفي هذه الحالة يصطلح عليه بـ(المعجزة).

والآن نحاول توضيح الأمور الخارقة للعادة التي تضمّنها التعريف المذكور:

### الأمور الخارقة للعادة

إنّ الظواهر الكونية إنّما توجد غالباً نتيجة أسباب وعلل، يمكن التعرف عليها من خلال التجارب المختلفة، أمثال أكثر الظواهر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والنفسية. ولكن هناك حالات نادرة تتحقّق فيها هذه الظواهر بصورة أخرى، وهي الأمور التي لا تكون أسبابها وعللها عادية؛ حيث لا يمكن التعرف على جميع أسبابها

(١) علل الشرائع، ج ١، ص ١٢٢.

(٢) انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص ٣٥.

وعلّلها من خلال التجارب الحسيّة، لكن تلك الأسباب والعلل في مقدور البشر وتحت اختيارهم، ويمكن التوصل إليها من خلال بعض التدريبات والدروس والتعليمات الخاصّة، كما يقوم به المتأخون من أعمال.

وهناك نوع آخر من الأمور الخارقة للعادة وهي الأعمال التي لا تتمّ إلا بإذن إلهي خاص، ولا تكون في متناول أولئك الأفراد الذين لا علاقة لهم بالله تعالى، ومن هنا فإنّ لها ميزتين:

أ - أنّها غير قابلة للتعليم والتعلّم.

ب - أنّها لا تخضع لتأثير قوّة أخرى أرقى منها وأقوى، ولا يمكن لأيّ عامل آخر أن يقهرها.

قال الشريف المرتضى رحمته الله: «وصفة المعجز: أن يكون خارقاً للعادة، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها، وأن يكون متعذراً في جنسه أو صفته المخصوصة على الخلق، ويكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى، وإذا وقع موقع التصديق، فلا بد من دلالة على المصدق، وإلا كان قبيحاً»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذه الخوارق للعادة مختصّة بعباد الله المصطفين والمتجبين، ولا يمكن أن تكون في متناول أيدي الضالّين والعاثين، فإذا كان الإتيان بالخارق للعادة قابلاً للتعليم أو التعلّم، أو يمكن لعامل آخر أن يمنع من حدوثه أو استمراره وإبطال تأثيره، فلا يكون هذا العمل من قبيل الخارق للعادة الإلهي، ويمكن أن يكون مؤشراً إلى ضلال الداعي وفساد معتقداته وأخلاقه، وإلى عدم ارتباطه بالله تعالى، وإلى كون أعماله شيطانية أو نفسانية.

## نوعان للمعجزة

والمعجزة على نوعين:

- ١ - المعجزة الوقتية: وهي المختصة بمن شاهدها؛ كناقية صالح عليه السلام وعصا موسى عليه السلام ومائدة عيسى عليه السلام.
- ٢ - المعجزة الخالدة (الدائمة): وهي المستمرة الوجود ما دامت السماوات والأرض كمعجزة القرآن الكريم.

## دلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة

من طبيعة المعجزة أن تناسب ما يشتهر في عصر النبي من العلوم والفنون؛ ولأجل هذا وجدنا أن معجزة موسى عليه السلام هي العصا التي تلقف ما يقوم به السحرة؛ إذ كان السحر في عصره فتناً شائعاً، فبمعجزة العصا أبطل عليه السلام ما كانوا يعملون، وعلّموا أنّها فوق مقدورهم، وأعلى من فنّهم، وإتّما ممّا يعجز من مثلها البشر، ويتضاءل عندها الفنّ والعلم، وكذلك معجزة عيسى عليه السلام وهي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؛ إذ جاءت في وقت كان فيه فنّ الطب هو السائد بين الناس، وكان فيه العلماء والأطباء لهم المكانة العليا فعجزوا عن مجازاة ما جاء به عيسى عليه السلام، ومعجزة نبينا محمد عليه السلام الخالدة هي القرآن الكريم، المعجز ببلاغته في وقت كان فنّ البلاغة معروفاً، وكان البلغاء هم المتقدّمون عند الناس، بحسن بيانهم، وسموّ فصاحتهم، فجاء القرآن كالصاعقة أذهلهم وأدهشهم وأفهمهم أنّهم لا قبل لهم به. ويدلّ على عجزهم أنّه تحدّاهم بإتيان عشر سور مثله فلم يقدرُوا، ثمّ تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله فنكسوا. ولما علمنا عجزهم عن مجاراته مع تحدّيه لهم وعلّمنا لجوءهم إلى المقاومة باللسان دون اللسان، علمنا أنّ القرآن من نوع المعجز وقد جاء به محمد بن عبد الله عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ مقروناً بدعوى الرسالة.<sup>(١)</sup>

(١) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، ص ٥٢، بتصرّف.

فإن جاء مدّعي النبوة بمعجز يصدّق دعواه بها لا يدع مجالاً للشكّ والريب، فقد تمتّ الحجّة على الناس حينئذٍ، ولا يسعهم إلا تصديقه واتباعه بالقول والفعل، ومن كفر منهم بعد العلم والبرهان القاطع والحجّة التامة، فلا طريق له سوى الضلالة والخسران المبين.

وتجدد الاشارة هنا إلى ملاحظة أخرى، وهي أنّه يمكن لنا القول بأنّ الله تعالى هو الفاعل لهذه الأعمال الخارقة للعادة، إضافة لفاعليته بالنسبة لكلّ المخلوقات ومنها الظواهر العادية؛ وذلك بملاحظة أنّ تحقّقها منوط بإذن خاصّ منه تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾<sup>(١)</sup>، ويمكن أيضاً أن ننسبها إلى الوسائط كالملائكة والأنبياء بملاحظة دورهم فيها كوسطاء أو فاعلين قريبين، كما نسب القران الكريم لعيسى عليه السلام إحياء الموتى وشفاء المرضى وخلق الطير: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. ولا تعارض بين هاتين النسبتين، لأنّ فاعلية العباد في طول الفاعلية الإلهية وليست في عرضها.

### ميزة معجزات الأنبياء عليهم السلام

إنّ معجزات الأنبياء آية ودليل على صدق دعواهم، ومن هنا إنمّا يطلق في علم الكلام مصطلح (المعجزة) على الأمر الخارق للعادة، حين يصدر دليلاً على نبوة النبي، إضافة إلى استناده إلى الإذن الإلهي الخاص، وبقليل من التعميم والتوسع في مفهومه

(١) الرعد: ٢٧.

(٢) آل عمران: ٤٩.

يصبح شاملاً للأُمور الخارقة للعادة أيضاً والتي تصدر دليلاً على صدق دعوى الإمامة، ولذلك يختص مصطلح (الكرامة) بسائر الخوارق الإلهية للعادة، والتي تصدر من أولياء الله، مقابل خوارق العادات التي تستند إلى القوى الشيطانية والنفسانية، أمثال: السحر، والكهانة، وأعمال المرتاضين. وكما أن مثل هذه الأعمال قابلة للتعلّم والتعليم، كذلك يمكن قهرها بقوة أرقى وأقوى منها، والغالب في الأمر هنا أنه يمكن اثبات عدم انتسابها إلى الله من طريق فساد معتقدات أصحابها وانحطاط أخلاقهم.

## الفصل الثاني: النبوة العامة في القرآن وروايات

### أهل البيت عليهم السلام

اختار الله سبحانه الأنبياء والرسل هداية البشرية وإرشادهم، وحملهم رسالته إلى جميع أفراد النوع الإنساني، وبواسطة هؤلاء الرجال جرى فيض الهداية من جانب الحق تعالى إلى عباده، والبشر في كل زمان ومكان وفي جميع أحوالهم ليسوا في غنى أبداً عن الهدايات الإلهية؛ بل إنهم بحاجة مستمرة وملحة إليها.

فالنبوة ظاهرة ربانية في حياة الإنسان والقانون الذي يحقق هدف الباري تعالى من خلقه الإنسان والخلق أجمعين وهو هدايتهم وتكاملهم بعد معرفة ربهم وكيفية طاعته وعبادته عز وجل، والأخذ بيد الإنسان إلى جادة الصواب وحل الإشكالات التي يواجهها على الصعيد الفردي أو الاجتماعي وفي شتى جوانب الحياة؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الخلق ولا أحد أعرف بهم وأكثر اطلاعاً عليهم منه جلّ وعلا، قال تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

## طرق التعرف على صدق دعوى النبوة

يمكن إثبات صدق الأنبياء الحقيقيين في دعواهم، من خلال ثلاث طرق:

- ١ - أن يكون الاثبات عن طريق إظهار المعجزة، وقد مر الكلام عنها<sup>(١)</sup>.
- ٢ - أن يعرفه ويشر به نبي سابق، أي: أن ينص على نبوته النبي أو الرسول المتقدم على نبوته أو رسالته، كما حصل للنبي محمد ﷺ بشهادة النبي عيسى عليه السلام<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث أكدت عليه أسفار اليهود والنصارى<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - عن طريق القرائن والمؤشرات والشواهد المفيدة للاطمئنان، كالصدق والأمانة والاستقامة والاجتناب عن الخبائث وعدم الانحراف عن جادة الحق والعدالة طوال حياتهم قبل البعثة وبعدها، كما كان نبينا محمد ﷺ يسمى بالصادق الأمين، أي: السيرة المميزة لهم عن سائر الناس. لكن هذا الطريق لا يتحقق إلا في الأنبياء الذين عاشوا مدة زمنية بين الناس، بحيث تكون سيرتهم معروفة عندهم. أمّا النبي الذي بعث بالرسالة في بدايات شبابه، وقبل أن يتعرف الناس على شخصيته وسيرته، فلا يمكن التعرف على صحّة دعواه وصدقه من طريق هذه المؤشرات والدلائل.

## أدلة مشبي النبوة

### ١ - حاجة المجتمع إلى قانون متكامل

لا شك أن الإنسان يميل إلى الاجتماع والتمدد، ولا شك أيضاً أن المجتمع بحاجة إلى قانونٍ ينتظم تحته، وذلك لأن الإنسان مجبول على حبّ ذاته، ممّا يجره ذلك إلى حيازة

(١) الفصل الأول: بحث (المعجزة).

(٢) كما سيأتي إن شاء الله في الفصل الثاني: أدلة اثبات نبوته ﷺ.

(٣) الصف: ٦.

(٤) انظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب: بشائر الأنبياء السابقين وتصديقهم.

كل شيء لنفسه دون أن يراعي لغيره حقاً، وفي النتيجة يحصل التنافس والتشاجر بين أبناء المجتمع فيتهيء الأمر بالمجتمع إلى تلاشي أركانه وتداعيتها، فلا يقوم للحياة الاجتماعية أساس إلا بوضع قانون دقيق، ومحكم ومتكامل يقوم بتحديد وظائف كل فرد وحقوقه.

وهذا القانون يحتاج إلى أن يكون متناولاً لجميع جوانب الحياة البشرية التي تتباين من حيث الظروف الجغرافية، والعادات والتقاليد، وهذا الأمر بدوره يحتاج إلى معرفة المقنن الكاملة بمن وضع له القانون وهو الإنسان، الذي له بعدان: بُعد جسماني وبُعد روحي وتؤثر عليه غرائزه وفطرياته، وذلك للانتهاء به إلى السعادة المتوخاة من خلقه.

ولن نجد أحداً أعرف بالإنسان من خالقه، فإنَّ صانع المصنوع أعرف به من غيره، يقول سبحانه: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

والإنسان نفسه لا يصلح لوضع قانون كامل، لما نرى من التبدل الدائم في القوانين، والنقض المستمر الذي يورد عليها، بحيث تحتاج في كل يوم إلى استثناء بعض التشريعات، وزيادة أخرى، إضافة إلى تناقض القوانين المطروحة في العالم من قبل البشر، وما ذلك إلا لقصورهم عن معرفة الإنسان معرفة حقيقية، وانتفاء سائر الشروط في واضعيها.

إذا كان استقرار الحياة الاجتماعية للبشر متوقفاً على التقنين الإلهي، فواجب في حكمته تعالى إبلاغ تلك القوانين إليهم عبر واحد منهم يرسله إليهم، والحامل لرسالة الله سبحانه هو النبي المنبئ عنه، والرسول المبلّغ إلى الناس، فبعث الأنبياء واجب في

حكيمته تعالى حفظاً للنظام المتوقف على التقنين الكامل. وإلى هذا الدليل يشير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

## ٢ - حاجة المجتمع إلى المعرفة

إنَّ الإنسان - كغيره من الموجودات الحيّة - مجهّز بهداية تكوينية لكنّها غير وافية في إبلاغه الغاية التي خلق من أجلها، ولهذا ضمّ الخالق إلى تلك الغرائز مصباحاً يضيء له السبيل في مسيرة حياته، ويفي بحاجاته التي تقصر الغرائز عن إيفائها، وهو العقل. ومع ذلك كلّه فإنّ العقل أيضاً غير كاف في إبلاغه إلى السعادة المتوخّاة، بل يحتاج إلى عامل ثالث يعينه في بلوغ تلك الغاية، ووجه ذلك أنّ العقل الإنساني غير مصون عن الخطأ والزلل.

ثمّ إنّ أهمّ ما يحتاج الإنسان إلى التعرف عليه، ليكون ناجحاً في الوصول إلى السعادة المطلوبة من حياته أمران: المعرفة بالله سبحانه، والتعرّف على مصالح الحياة ومفاسدها، والمعرفة الكاملة في هذين المجالين لا تحصل للإنسان إلاّ في ضوء الوحي وتعاليم الأنبياء، وأمّا العلوم الإنسانية فهي غير كافية فيها.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسول؟: «إنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا، وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجوز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) انظر: محاضرات في الإلهيات للشيخ السبحاني، ص ٢٤٩.

في خلقه والمعبود عنه جل وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماؤ مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤدبين من عند الحكيم العليم بالحكمة»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الرضا عليه السلام في علة وجوب معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة: «لأنه لما لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا مصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارهم. فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

ومما يوضح قصور العلم البشري في العلوم الإلهية أنّ هناك الملايين من البشر يقطنون بلدان جنوب شرق آسيا على مستوى راق في الصناعات والعلوم الطبيعية، ومع ذلك، ليس لهم نصيب من المعارف الإلهية، فجلبهم - إن لم يكن كلهم - عبّاد للأصنام والأوثان، وكما في بلاد الهند الشاسعة وما يعتقد الملايين من أهلها من قداسة وتأله في «البقر».

ومما يدلّ على قصور العلم الإنساني عن تشخيص منافع البشر، والمجتمعات ومضارّها، أنّ المجتمع الإنساني - مع ما بلغه من الغرور العلمي - لم يقف بعد على النظام الاقتصادي النافع له، فطائفة تزعم أنّ سعادة البشر في نظام الرأسمالية والاقتصاد الحرّ المطلق، والأخرى تدّعي أنّ سعادة البشر في النظام الاشتراكي،

(١) الاحتجاج للشيخ الطريسي، ج ٢، ص ٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٤٠.

وسلب المالكية عن أدوات الإنتاج، وتفويضها إلى الدولة الحاكمة.<sup>(١)</sup>  
 كما أنّه لم يصل بعد إلى وفاق في مجال الأخلاق، وقد تعدّدت المناهج الأخلاقيّة في  
 العصر الأخير إلى حدّ التضادّ فيها.

وأيضاً نرى أنّ الإنسان - مع ما يدّعيه من العلم والمعرفة - لم يدرك بعد عوامل  
 السعادة والشقاء له، بشهادة أنّه يشرب المسكرات، ويستعمل المخدّرات، ويتناول  
 اللحوم الضارّة، كما يقيم اقتصاده على الرّبا الذي هو عامل إيجاد التفاوت الطبقي بين  
 أبناء المجتمع.

فإذا كان هذا حال الإنسان في معرفة المسائل الابتدائية في الاقتصاد والأخلاق،  
 وعوامل السعادة والشقاء، فما ظنّك بحاله في المسائل المبنية على أسس تلك العلوم،  
 أبعد هذا الجهل المطبق، يصحّ لنا أن نقول إنّ الإنسان في غنى عن الوحي في سلوك  
 طريق الحياة؟!<sup>(٢)</sup>

وفيما روي عن أئمة أهل البيت إشارات إلى هذا البرهان، نذكر منها: عن الإمام  
 الكاظم أنّه قال: «ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم  
 استجابةً أحسنهم معرفةً، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم  
 درجةً في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

### أدلة منكري النبوة ومناقشتها

طرحت عدّة إشكالات من قبل المنكرين للنبوة، نذكر منها ثلاثة أدلّة ومناقشتها:<sup>(٤)</sup>

#### الدليل الأوّل

(١) انظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب: (شمولية الإسلام وجامعيته: الاقتصاد الإسلامي نموذجاً).

(٢) انظر: محاضرات في الإلهيات، الشيخ السبحاني، ص ٢٥٢.

(٣) الكافي، ج ١، ص ١٦، ح ١٢.

(٤) عن: محاضرات في الإلهيات، الشيخ السبحاني، ص ٢٥٢، بتصرّف.

إنَّ الرسولَ إمَّا أن يأتي بما يوافق العقول أو بما يخالفها، فإن جاء بما يوافق العقول، لم يكن إليه حاجة، ولا فائدة فيه، وإن جاء بما يخالف العقول، وجب ردُّ قوله. وبعبارة أخرى: إنَّ الذي يأتي به الرسول لا يخلو من أحد أمرين: إمَّا أن يكون معقولاً، وإمَّا أن لا يكون معقولاً، فإن كان معقولاً، فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه، فأى حاجة لنا إلى الرسول؟ وإن لم يكن معقولاً، فلا يكون مقبولاً، إذ قبول ما ليس بمعقولٍ، خروجٌ عن حدِّ الإنسانية ودخول في حريم البهيمية.

### الجواب

إنَّ حصر ما يأتي به الرسول بموافق العقول ومخالفها، حصر غير حاصر، فإنَّ هاهنا شقاً ثالثاً وهو إتيانهم بما لا يصل إليه العقل بالطاقات الميسورة له، لأنَّ عقل الإنسان وتفكره قاصر عن نبيل الكثير من المسائل.

### الدليل الثاني

قد دلَّت الدلائل العقلية على أنَّ للعالم صانعاً عالماً قادراً حكيماً، وأنَّه أنعم على عباده نعماً توجب الشكر، فننظر في آيات خلقه بعقولنا، ونشكره بآلائه علينا، وإذا عرفناه وشكرنا له، استوجبنا ثوابه، وإذا أنكرناه وكفرنا به، استوجبنا عقابه، فما بالناس نتبع بشراً مثلنا؟!

### الجواب عنه بوجهين:

الأوَّل: إنَّ كثيراً من الناس لا يعرفون كيفية الشكر، فربما يتصوِّرون أنَّ عبادة المقرَّبين نوع شكر لله سبحانه، فلاجل ذلك ترى عبدة الأصنام والأوثان يعتقدون أنَّ عبادتهم للمخلوق شيءٌ موجب للتقرُّب. قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني: إنَّ تخصيص برامح الأنبياء بالأمر بالشكر والنهي عن كفران النعمة، غفلة

عن أهدافهم السامية، فإنهم جاءوا لإسعاد البشر في حياتهم الفردية والاجتماعية، ولا تختص رسالتهم بالأوراد والأذكار الجافة، كتلك التي يرددها أصحاب بعض الديانات أيام السبت والأحد في البيع والكنائس، وإنك لتقف على عظيم أهداف رسالة النبي الأكرم ﷺ إذا وقفت على كلمته المأثورة: «إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثالث

إن أكبر الكبائر في الرسالة، أتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل، يأكل ممّا تأكل، ويشرب ممّا تشرب... فأبي تميّز له عليك؟ وأبي فضيلة أوجبت استخدامك؟ وما دليله على صدق دعواه؟

### الجواب

ليس هذا المذكور في الدليل بشيء مستحدث، بل هذا ما كان المشركون يكرّرونه على ألسنتهم معترضين على رسالهم، كما ذكره تعالى في الكتاب الكريم: «وَأَسْرُوا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...»<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِقْدَارِ الْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ»<sup>(٣)</sup>.

ولكن الرسل قابلتهم بالجواب، وصدقتهم بأنهم مثلهم في الجسم الصورة، لكنهم غيرهم في المعرفة والكمال الروحي، لصلتهم بالله سبحانه دونهم، واطلاعهم على الغيب بإذنه سبحانه. قال عزّ من قائل: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ

(١) الأمل، الشيخ الطوسي، ص ٥٨٣.

(٢) الأنبياء: ٣.

(٣) المؤمنون: ٣٣ و ٣٤.

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقد أمر الله تعالى رسوله أن يواجه هذا المنطق بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٢) .

فالجملة الأولى، وهي الاتحاد في البشرية، إشارة إلى أحد ركني الرسالة، وهو لزوم المسانحة التامة بين المرسل والمرسل إليه.

وقوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، إشارة إلى وجه الفرق بينهما، وأنه لأجل نزول الوحي عليه يجب أتباعه وإطاعته. وبذلك يظهر تميز الأنبياء وتقدمهم على غيرهم.

### الغاية من بعثة الأنبياء عليهم السلام

يقدم لنا القرآن الكريم والروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام رؤية في بناء مرتكزات النبوة وما تنطوي عليه من فلسفة في واقع الوجود الإنساني، التي يمكن درجها في النقاط التالية:

#### ١ - الدعوة إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت

يبعث الله تعالى الرسل لإبلاغ الناس ما نزل إليهم من ربه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣) .

قد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تنص على أن مهمة الرسول إنما هي البلاغ، منها:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

(١) إبراهيم: ١١ .

(٢) الكهف: ١١٠ .

(٣) النور: ٥٤ .

مُنِيرًا<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي<sup>(٢)</sup>.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ<sup>(٤)</sup>.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

\* وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ<sup>(٦)</sup>.

عن الرسول ﷺ لما جمع خاصّة أهله في ابتداء الدعوة، وبيّن لهم آية نبوّته: «يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني إلى الخلق كافّة، وبعثني إليكم خاصّة، فقال عز وجل:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ<sup>(٧)</sup>، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في

الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة،

وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله<sup>(٨)</sup>.

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في النبي ﷺ: «فبعث محمداً ﷺ بالحق؛ ليخرج عباده من

عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد

(١) الأحزاب: ٤٥ و ٤٦.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) الأنفال: ٢٤.

(٥) الأحقاف: ٣١ و ٣٢.

(٦) النحل: ٣٦.

(٧) الشعراء: ٢١٤.

(٨) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١، صص ٤٩ و ٥٠.

رهم إذ جهلوه، وليقروا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال في كلام له: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً عليه السلام بالحق؛ ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده، ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته...»<sup>(٢)</sup>.

عن الإمام الباقر عليه السلام في رسالته إلى بعض خلفاء بني أمية: «ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عز وجل على الأعمال... اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله عز وجل من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد...»<sup>(٣)</sup>.

وقال الله تعالى أمراً رسوله عليه السلام بإبلاغ ما أنزل إليه من ربه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>؛ فقد يأتي الرسول بما يخالف أهواء الناس وما اعتادوا عليه من الباطل، ويأمرهم بما يستنكرون ويكرهون لأنه خلاف ما اعتادوا عليه، لذلك امتدح الله تعالى رسله قائلاً: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٥)</sup>.

والرسول في إبلاغه لرسالة الله تعالى، إنما هو مؤتمن في أدائه، فلا يزيد عليها، ولا ينقص منها، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وقد أكد القرآن الكريم أن عبادة الله، واجتناب الطاغوت، أصلان داخلان في قوام جميع النبوات، وهما حجر الأساس في بناء الإنسان التوحيدي، والمجتمع التوحيدي، لذا دعا إليهما الأنبياء والرسل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٣٨٦، ح ٥٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣، ح ٤.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) الأحزاب: ٣٩.

اللَّهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الله عز وجل أن الرسل قالوا لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما أن الرسل ﷺ يقومون بتعريف الناس بإلههم الواحد الأحد وصفاته، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم بأوجز عبارة في سورة الإخلاص؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

عن رسول الله ﷺ في وجه تسميته بالداعي: «وأما الداعي، فإني أدعو الناس إلى دين ربي عز وجل»<sup>(٦)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام في المناجاة: «سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك. خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة: مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخداماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثواراً. ثم أرسلت داعياً يدعو إليها. فلا الداعي أجابوا، ولا فيما رغبت رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها»<sup>(٧)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: «بعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ»<sup>(٨)</sup>.

(١) النحل: ٣٦.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) الأعراف: ٥٩.

(٤) الإخلاص: ١ - ٤.

(٥) الأعراف: ١٠٤.

(٦) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٥٢، ح ٢.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

(٨) المصدر نفسه، ١.

ويقوم الرسل بتصحيح كل ما يخالف هذا الاعتقاد في الله تعالى، مثل جعل شريك له في ملكه، أو خلقه، أو عبادته أو جعل صاحبة له أو جعل ولد له أو نسبة البنات إليه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك بمختلف الأساليب؛ وأولها النصح والإرشاد، وإلقاء الحجّة، وآخرها الثورة المسلّحة؛ لتقويض وجود الطاغوت.

ولما طلب قوم موسى منه أن يجعل لهم إلهاً، مثل الآلهة الصنمية التي رأوها عند المشركين، قال موسى ﷺ مخاطباً إياهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى ذلك؛ إنّ الرسل يقومون بتعليم الناس، شؤون عباداتهم وشعائرهم من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وأحكام هذه العبادات مع التطبيق العملي النموذجي من الرسول، قال تعالى مخاطباً أمة محمد ﷺ والناس أجمعين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - البشارة والإنذار

لما كانت الغاية الأساسية من وجود الإنسان في حياته الدنيا هي طاعة أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٤)</sup>، وكانت رسل الله تعالى هي المبيّنة لتلك الأحكام والمبلّغة عن الله تعالى، لزم أن تكون من مهام الرسل الكرام ﷺ مهمة التبشير لمن اتبع أوامر الله تعالى بالفوز الكبير في الدنيا والآخرة والإنذار لمن خالف أوامره

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) الذاريات: ٥٦.

بالوعيد الشديد والعذاب الأليم في الآخرة حتى تقوم الحجة على الناس، كما قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى مخاطباً نبي الإسلام ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى أيضاً: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>، فمن وظائف الأنبياء المرسلين أنهم يبشرون الناس بسعادة الدنيا والآخرة في حال التزامهم بالأحكام الإلهية، كما يحذرونهم من الآثار المدمرة لحياتهم في الدنيا وفي الآخرة في حال تمردهم على الأحكام الإلهية وتحكيمهم لغير ما أنزل الله تعالى.

فإن الحياة الدنيا دار عمل، ومزرعة للآخرة، وقد أرسل الله تعالى رسله، وأنزل معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط، ولما أنزل الله تعالى آدم ﷺ إلى الأرض هو وإبليس، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فهم ﷺ يبشرون الناس بسعادة الدنيا والآخرة في حال التزامهم بالأحكام الإلهية كما يحذرونهم من الآثار المدمرة لحياتهم الدنيا ومستقبلهم الأخروي في حال تمردهم على الأحكام الإلهية وتحكيمهم لغير ما أنزل الله تعالى.

وهذه الوظيفة تقتضيها حكمة الله تعالى وكمال عدله ولطفه بعباده إذ إنه لا يتركهم سدى حتى يبين لهم ما يتقون فلا يؤخذون على حين غرة وغفلة؛ بل كما قال الله تعالى:

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) الأنعام: ٤٨.

(٣) الأحزاب: ٤٥.

(٤) الأحقاف: ٣١ و٣٢.

(٥) البقرة: ٣٨.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن كمال رحمته وعدله أنه تكفل ببيان صنوف النعيم، وألوان المتع التي أعدها لعباده المؤمنين، كما بيّن أنواع العذاب المهلك وألوانه التي أعدها للمجرمين الكافرين.

### ٣ - إقامة القسط

وتتسع دائرة إقامة القسط الذي يدعو إليه القرآن الكريم، والروايات الشريفة، لتشمل جميع مجالات الوجود الإنساني، منها أن القسط والعدل فيها حفظ لكرامة الإنسان في الوجود والحياة، كما أن إقامة القسط يمنع من استبداد الحكام وتحكم المستكبرين وأسياد المال وجبايرة الجاه والثروة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup>.

عن الإمام علي عليه السلام في صفة الله سبحانه: «الذي صدق في مياعده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه»<sup>(٤)</sup>.  
وعنه عليه السلام في صفة أهل الذكر: «... ويأمرون بالقسط ويأثمرون به، وبنهون عن المنكر ويتناهون عنه»<sup>(٥)</sup>.

### ٤ - التزكية والتعليم

ومن أعظم ما يقوم به الأنبياء المرسلون هو تزكية المجتمع، وتربية الناس على الأخلاق الحميدة، وتطهير نفوسهم من الرذائل، وتحليلتها بالفضائل وتعليمهم الأحكام

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ٢٢٢.

الإلهية من الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات ليكونوا مهياًين لاستقبال الفيض الإلهي من التعاليم العظيمة التي جاء بها المرسلون من قبل الله تعالى، كما جاء في دعوة إبراهيم عليه السلام لنبى الإنسانية والرسول الأعظم ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

عن الإمام علي عليه السلام قال: «وبعث إلى الجن والإنس رسله ليكشفوا لهم عن غطاها، وليحذروهم من ضرائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليصروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها وأسقامها، وحلالها وحرامها، وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار، وكرامة وهوان»<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجةً في الدنيا والآخرة»<sup>(٥)</sup>.

والمراد من هذا العقل، هو العقل الذي يستطيع به الإنسان أن يؤدي دوره العبادي، ويرتقي من خلاله في سلم الكمال، ليعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان. عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل: ما العقل؟ قال عليه السلام: «ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان»<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ١٢٩.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) البقرة: ١٢٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

(٥) الكافي، ج ١، ص ١٦، ح ١٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١.

ويقول سبحانه في الغاية من بعث الرسل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى هدى السماء وضيائها وحركة النبوات يغادر الإنسان من ظلمات الجهل والضلالة إلى آفاق نور العلم والبصيرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو مما نهضت به نبوات السماء ومن طليعة أهداف الرسل الكرام، قال تعالى في عداد مرتكزات بعث النبي: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٥)</sup>.

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في كلام له: «... فلما انقضت نبوة آدم عليه السلام واستكملت أيامه أوحى الله تعالى إليه أن يا آدم إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والايان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك عند ابنك هبة الله فإني لن أقطع العلم والايان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك إلى يوم القيامة ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يعرف به ديني ويعرف به طاعتي ويكون نحاة لمن يولد فيها بينك وبين نوح...»<sup>(٦)</sup>.

(١) الجمعة: ٢.

(٢) إبراهيم: ٥.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) إبراهيم: ٥.

(٥) إبراهيم: ١.

(٦) كمال الدين ونظام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ٢١٤، ح ٢.

وفي كلام للإمام الصادق عليه السلام عن الرسل عليهم السلام: «... وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه؛ حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الرضا عليه السلام في معرض كلامه في ضرورة إرسال الرسل عليهم السلام إلى الخلق: «... لم يكن بد لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم ومضارهم»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام في صفة الإسلام: «فيه مراتب النعم، ومصايح الظلم، لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصايحه»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥ - تفجير طاقات الإنسان وإخراجه من حالة الخمود

إنّ أنبياء الله تعالى يبعثون في الإنسانية الحركة والفاعلية والنشاط، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وعبرّ تعالى بالبعث دون الارسال وما في معناه لأنّ حال الإنسان الأولي هو حال الخمود والسكوت، وهو يناسب البعث الذي هو الإقامة عن نوم أو قطون ونحو ذلك.<sup>(٥)</sup>

وفي سياق تفجير طاقات الإنسان، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد

(١) الكافي، ج ١، ص ١٦٩، ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٠٧، ح ١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

(٤) البقرة: ٢١٣.

(٥) انظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ١٢٧.

تحتهم موضوع...»<sup>(١)</sup>، وهذا الهدف من أروع أهداف النبوات، لما تطلق في الإنسان حركة العقل وفاعليته.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال بعد تحميد الله تعالى: «فأحب الاختصاص بالتوحيد إذا احتجب بنوره وسما في علوه واستتر عن خلقه لتكون له الحجة البالغة وانبعث [ابتعث] فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوا وعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا ويوحده بالإلهية بعد ما أضدوه»<sup>(٢)</sup>، قال في البحار في بيان الرواية الشريفة: «فأحب واقتضى - حكمته البالغة أن يعرفه خلقه بالتوحيد ويخصه به ولم يكن ذلك ممكناً إلا بإرسال الرسل لما قد تمهد من كمال علوه ونهاية سموه وانحطاط درجة المكلفين وجهلهم وعجزهم فلذا جعل بينه وبين خلقه سفراء يفيض عليهم من جهة كمالهم ويفيضوا على الخلق من جهة بشريتهم ومجانستهم لهم»<sup>(٣)</sup>.

## ٦ - ردّ الشبهات وتقويم الأفكار المنحرفة

لقد خلق الله تعالى عباده حنفاء ولكن جاءتهم الشياطين فاجتالتهم وانحرفوا عن الفطرة السليمة التي كانوا عليها ولا تزال شياطين الجن والإنس يزينون لهم الباطل ويثيرون فيهم الشبه والضلالات، ولأجل ذلك يرسل الله تعالى - رحمة منه - رسلاً كلما زاغ الناس عن الطريق المستقيم. قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، صفة خلق آدم عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه.

اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِّنَ الْحَقِّ يُاٰذِنُهُ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ اِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ<sup>(٢)</sup>،  
فبعد اختلافهم ارسل الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين.

إن دعوة الرسل جميعاً تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى والألفة على دينه والاعتصام بحبله، قال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَاءً فَاَلْفَ بَيْنٍ فُلُوْبِكُمْ فَاَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلٰى سَفَا حُمْرَةِ مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ<sup>(٣)</sup>.

عن الإمام علي عليه السلام: «انظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته ألفتهم؛ كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين»<sup>(٤)</sup>.

إن كل رسول يختص بتقويم الانحراف الحادث في عصره ومجاله المأمور به من قبل الله سبحانه، ذلك لأن الانحراف عن الصراط المستقيم يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان، فنوح عليه السلام أنكر على قومه عبادة الأصنام التي كانت عامة فيهم، وكذلك إبراهيم عليه السلام إضافة إلى أنه أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها. وصالح عليه السلام أنكر على قومه الفساد في الأرض واتباع المفسدين، ولوط عليه السلام حارب الشذوذ الجنسي المتفشى في قومه، وشعيب عليه السلام قاوم جريمة الافساد الاقتصادي المتمثل في تطفيف المكيال والميزان. وموسى عليه السلام وقف في وجه النزعة المادية التي انحرف إليها

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) النحل: ٦٤.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

بنو إسرائيل. فقام الرسل عليهم السلام بالردّ على الشبهات والتهم الموجهة لهم ولرسالتهم ولأتباعهم وذلك باتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة كما ورد في بعض الحوارات القرآنية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٧ - اتمام الحجة على الخلق

قال تعالى في بيان بواعث إرسال الرسل عليهم السلام: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾<sup>(٤)</sup>.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «بعث إليهم الرسل؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه، ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا، ويوحده بالإلهية بعد ما عضدوا»<sup>(٥)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام: «... وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نذره»<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) القصص: ٤٧.

(٤) طه: ١٣٣.

(٥) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٤٥، ح ٤.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

وعنه عليه السلام: «بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه؛ لئلا تحب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً سأله فقال: لأي شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس، فقال عليه السلام: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»<sup>(٢)</sup> ولئلا يقولوا «ما جاءنا من نبيٍّ ولا نذيرٍ»<sup>(٣)</sup> ولتكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ»<sup>(٤)</sup>، وهو أن الله تعالى يعلم عباده وبطيعة ما تنطوي عليه أنفسهم من حب التملص عن المسؤولية والخروج من حدود ما رسمه الله تعالى لهم «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»<sup>(٥)</sup>، وهنا يأتي دور ارسال الرسل في قطع ما قد يحتجوا به من أنهم لو أرسل إليهم الرسل لاهتدوا ولقاموا على الطريق الصحيح، ففي النبوات إقامة الحجة على جميع الخلق، قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ»<sup>(٦)</sup>، وفي هذا دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث إليه الرسول وأنه سبحانه أقام الحجة على جميع الأمم بالبينات والمعجزات الشاهدة على نبوتهم.

والروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام تناولت النبوة بجميع فصولها بدءاً من ضرورتها وإثباتها وانتهاءً بمعطياتها مروراً بما يتعلق بلوازمها وصفات الأنبياء

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) المائد: ١٩.

(٤) الملك: ٨-٩.

(٥) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٢٢.

(٦) الملك: ١٤.

(٧) فاطر: ٢٤.

وحالهم. والرؤية الحديثية تفصل ما يجمله القرآن وتضيء المشهد النبوي على تفاصيل تنفتح لتعالج جميع جوانب هذا المشهد.

ومن المقتطفات في تلك الأحاديث الشريفة، ما جاء في حوار للإمام الصادق عليه السلام مع الزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسول؟ فقال عليه السلام: «إنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يحز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشره، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان حاجة البشرية إلى النبوة وعلّة وجوب معرفة الرسل والاقرار بهم والاذعان لهم بالطاعة قوله عليه السلام: «لأنه لما لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارهم. فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من

صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء»<sup>(١)</sup>.

وعن دور المعجزة والمهمّة الوظيفية التي تنهض بها، جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب»<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض صفات الأنبياء وخصائصهم، جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بـ (القاصعة) قوله عليه السلام: «وكانوا أقواماً مستضعفين، وقد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدّة، وامتنحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره... ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل... ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى»<sup>(٣)</sup>.

كما جاء عنه عليه السلام في خطبة يذكر فيها بداية اصطفاء الأنبياء ووجه حاجة الإنسانية إلى رسالات السماء ووحيتها، والفلسفة التي تنطوي عليها النبوات عامة، حيث يقول عليه السلام في كلام عن آدم عليه السلام يوصله بالحديث عن النبوات: «ثم بسط الله سبحانه له في توبته. ولقاه كلمة رحمته، ووعده المرد إلى جنته. وأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية. واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه. واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته. فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته. ويذكروهم منسي نعمته. ويحتجوا عليهم بالتبليغ. ويشيروا لهم دفائن العقول ويروهم الآيات المقدرة من

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٤٠.

(٢) علل الشرائع، ج ١، ص ١٢٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع. ومعاش تحييمهم وآجال تفنيهم. وأوصاب تهرمهم. وأحداث تتابع عليهم. ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل. أو حجة لازمة، أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم. ولا كثرة المكذبين لهم. من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله. على ذلك نسلت القرون. ومضت الدهور. وسلفت الآباء. وخلفت الأبناء. إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته، وتمام نبوته<sup>(١)</sup>.

#### ٨ - تدبير شؤون الأمة عامة وسياسة أمرها

إن الأنبياء والرسل قادة أقوياء اختارهم الله تعالى لقيادة الناس وهدايتهم لما خلقهم من أجله، لذا كانت عليهم مهام ووظائف كبيرة كإقامة حكومة العدل الإلهي، حيث إن المؤمنين بالرسل يكونون جماعة وأمة، والجماعة لا يستقيم لها أمر إلا أن تكون تحت إمرة زعيم مختار من قبل الله تعالى تُدين له بالطاعة، وتوكل إليه تدبير شؤونها ورعاية مصالحها، وتحقيق غاياتها وأهدافها، ولما كان الرسول هو المنصب من قبل الله تعالى قائداً هادياً للأمة في شؤون دينها وديناها، فالرسول يؤسس شؤون الأمة جميعاً بهدى من الكتاب منير، كما قال الله تعالى لداود عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، صفة خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام.

(٢) ص: ٢٦.

## الْكَافِرُونَ ﴿١﴾.

وقال الله تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ  
وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٢).

وجوب الاعتقاد بالأنبياء ﷺ ونبذة عن عددهم

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: «يجب أن يعتقد: أن النبوة حق كما اعتقدنا أن التوحيد  
حق» (٣).

قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ \* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي  
شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾، وقال أيضاً: ﴿... أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ \*  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (٥)، وغيرها كثير من الآيات الكريمة الدالة على  
وجوب الاعتقاد بالأنبياء والرسل ﷺ، كما ذم الله تعالى الذين يستهزؤون برسله  
ويكذبونهم: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦)، وقال  
أيضاً مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ  
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧).

(١) المائة: ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ٤٩.

(٣) الهداية، ص ٢١.

(٤) البقرة: ١٣٦ و ١٣٧.

(٥) الانعام: ٨٩ و ٩٠.

(٦) يس: ٣٠.

(٧) الانعام: ٣٣ و ٣٤.

جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان حاجة البشرية إلى النبوة وعلّة وجوب معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة قوله عليه السلام: «لأنه لما لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارهم. فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء»<sup>(١)</sup>.

والأنبياء الواجب الاعتقاد بهم الذين بعثهم الله مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فلمستفاد من الآيات الكريمة أنّ القرآن لم يذكر جميع الأنبياء، فذكر القرآن قسماً منهم والقسم الآخر لم يذكره، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما من الروايات الشريفة فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جماً غفيراً. قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلًا؟ قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٤٠.

(٢) النساء: ١٦٤.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٤١.

من روحه، ثم قال: يا أبا ذر، أربعة من الأنبياء سريانئون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو أول من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونيك محمد، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وست مائة نبي. قلت: يا رسول كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزيبور والفرقان<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «من أحب أن يصفحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم منهم خمسة اولوالعزم من الرسل... نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم<sup>(٢)</sup>».

عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وكان ما بين نوح من الأتقياء مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء وهو قول الله ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> يعني لم أَسْمِ المستخفين كما سميت المستعلنين من الأنبياء<sup>(٤)</sup>».

وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً قال: «قال رسول الله ﷺ إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي، كان عدد جميع الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، خمسة منهم أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله أما إن

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٣٣٣.

(٢) كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٣٣٤، ح ٢.

(٣) النساء: ١٦٤.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ١١٥، ح ٩٢.

محمدًا ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين»<sup>(١)</sup>.

ويجب أن يعتقد أيضاً - وبناءً على ما مرّ - أنّ هؤلاء الأنبياء عليهم السلام جاؤوا بالحق من عند الحق، وقولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأنهم لم ينطقوا إلا عن الله تبارك وتعالى وعن وحيه، وأنّ سادة الأنبياء خمسة، الذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع، وهم أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم.<sup>(٢)</sup>

### صفات النبي عليه السلام

إنّ الله تعالى يجعل النبوة لمن يصطفيه ويختاره للسفارة بينه وبين عباده، ومن تتوفر فيه الأهلية الكاملة، فهو الذي يرشد الناس ويقودهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ويكون مثلهم الأعلى في تطبيق شريعة الله وبيان أحكامها. فالنبي يتّصف بأكمل الصفات الخلقية والعقلية، مثل الكرم والجود، وساحة النفس والصبر، والذكاء وقوة الفكر والشخصية وتدير أمور الناس، ولولا ذلك لما تمكّن من تدير شؤون الناس وقيادتهم وفق الشرائع الإلهية. كما يتّصف النبي بحسن الصفات الجسدية، وجمال الصورة، وكذلك طهارة النسب والمولد، وهو منزّه عن الرذائل قبل بعثته أيضاً، كي لا يكون محلاً للنفرة بين الناس ولتطمئنّ إليه القلوب.

والأنبياء كلهم إخوة، ومن سلسلة نسب واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٢٥، ح ٢.

(٢) انظر: الهداية، للشيخ الصدوق، ص ٢٢.

(٣) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

فآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، إنّما جاؤوا من قبل إله واحد، وكانت دعوتهم واحدة، وغايتهم واحدة، وسلوكهم واحد، كلّهم يأمرون بالخير وكلّهم ينهون عن الشرّ، ويدعون إلى الله الحقّ، ويحثّون على العدل.

وأساس علم أنبياء الله تعالى الوحي، وملاك أمرهم إيقاظ الضمير، وعماد دعوتهم الحقّ، أوّلمهم يصدّق آخرهم، وآخرهم يصدّق أوّلمهم، وأوسطهم يصدّق الأوّل ويدعو للأخير فلا اختلاف في دعوتهم في جوهرها وحقيقتها، وإن اختلفت في صيغها وبعض كيفياتها.

### العصمة

يُعدّ بحث العصمة في موضوع النبوة من الأبحاث المهمّة لما للعصمة من صلة مباشرة بالشريعة والتبليغ من قبل الله تعالى وما يناسب هذا المقام من المكانة التي أرادها الله تعالى للنبي أن يكون سفيراً له سبحانه إلى خلقه، وهذا يثبت بالعصمة، فهو حجّة على الخلق في القول والفعل والسلوك، وقدوة للناس جميعاً في جميع ذلك وتجب متابعتة.

ونؤمّن بأنّ جميع الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل والردائل قبل البعثة وبعدها؛ بل يجب أن يكون الأنبياء منزّهين حتى عمّا ينافي المروّة، كالتبذّل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال وكلّ ما يستهجن فعله عند العرف العام.<sup>(١)</sup>

### تعريف العصمة

والأصل في معنى العصمة هو المعنى اللّغوي بالمنع، كما صرّح به في المحيط<sup>(٢)</sup>،

(١) انظر: عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر، ص ٥٤.

(٢) المحيط في اللغة، ج ١، ص ٣٤٨، مادة (عصم).

والصحيح<sup>(١)</sup>، ولسان العرب<sup>(٢)</sup>، وقال في معجم المقاييس: «العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومنعٍ وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنًى واحد. من ذلك العِصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبدُ بالله تعالى، إذا امتنع<sup>(٣)</sup>»، وقال الراغب: «العَصْمُ: الإمساكُ، والاعتِصَامُ: الاستمساكُ... وعِصْمَةُ الأنبياء: حِفْظُهُ إِيَّاهُمْ أَوْلًا بِمَا خَصَّهَمْ بِهِ مِنْ صِفَاءِ الْجَوْهَرِ، ثُمَّ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ الْجَسْمِيَّةِ، ثُمَّ بِالنَّصْرَةِ وَبَثْبَتِ أَقْدَامِهِمْ، ثُمَّ بِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ وَبِحِفْظِ قُلُوبِهِمْ وَبِالتَّوْفِيقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وأما العصمة في الاصطلاح، فيقول الشيخ المفيد<sup>(٦)</sup> في النكت الاعتقادية: «العصمة لطف يفعله الله تعالى بالملكف بحث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها<sup>(٦)</sup>».

وقال العلامة الحلي<sup>(٧)</sup>: «العصمة لطف خفي يفعل الله تعالى بالملكف، بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك<sup>(٧)</sup>». ويضيف بعض علمائنا كالشيخ المظفر في كتاب العقائد: «بل يجب أن يكون منزهاً عمّا ينافي المروءة، كالتبذُّل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام<sup>(٨)</sup>».

فالمعصوم قد جعل الله سبحانه فيه قوَّة تمنعه وتمسكه عن الوقوع في الذنوب

(١) الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ١٩٨٦، مادة (عصم).

(٢) لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٠٣، مادة (عصم).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٣٣١، مادة (عصم).

(٤) المائة: ٦٧.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٦٩، مادة (عصم).

(٦) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص ٣٧.

(٧) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، ص ٨٩.

(٨) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، ص ٥٤.

والمعاصي وعن كل ما لا يليق بشأنه.

والعصمة شرط في النبي بلا خلاف بين المسلمين في الجملة؛ لأن غير الإمامية يخالفونهم في بعض الخصوصيات التي اشترطتها الإمامية في العصمة، كما أن غير الإمامية أيضاً قد اختلفوا فيما بينهم في بعض الخصوصيات، إلا أن الإجماع قائم على اعتبار العصمة بنحو الإجمال بين جميع الفرق من الإمامية والمعتزلة والأشاعرة.<sup>(١)</sup>

ويشير العلامة الحلي<sup>(٢)</sup> إلى رأي الإمامية بالإجمال قائلاً: «ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزهون عن المعاصي، قبل النبوة، وبعدها. على سبيل العمدة، والنسيان، وعن كل ذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعف»<sup>(٣)</sup>.

### الحاجة إلى العصمة

إنَّ الغاية المتوخاة من بعثة الأنبياء هي هداية الناس إلى الكمال والسعادة، ولا تحصل هذه الغاية إلاَّ بكسب اعتمادهم وثقتهم المطلقة بصحة ما يقوله الأنبياء ويحكونه عن الله تعالى، وإلاَّ باستقامة سلوكهم، ولو شاهد الناس أنَّ نبيهم يفعل المنكرات أو يسهو في تطبيق الشريعة التي أمرهم بها أو يغلط في أموره الفردية والاجتماعية، فلا شك أنَّ ثقتهم واعتمادهم عليه سوف يتزلزل وسوف تفقد هذه الثقة، وبالتالي تنتفي الغاية المطلوبة من بعثة النبي.

### الأدلة على عصمة الأنبياء والرسول

ويستدلُّ على ضرورة توفر العصمة في شخص النبي والرسول بدليلين:

(١) انظر: العصمة، للسيد علي الميلاني، ص ١١.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق، ص ١٤٢.

## الدليل الأول: العقل والوجدان

قال المحقق الطوسي رحمته الله في تجريد الاعتقاد: «ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعتة»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة الخلي رحمته الله في وجوب العصمة: «لو وقع منه الخطأ لوجب الإنكار عليه، وذلك يضاد أمر الطاعة له»<sup>(٢)</sup>.

فالعقل يستقبح تقديم الناقص على الكامل، والنفوس لا تميل لمن كانت فيه بعض المنفّرات؛ فلو جاز أن يفعل النبي أو الرسول المعصية أو يخطأ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فإنما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانياً أو خطأً أو لا يجب، فإن وجب إتياعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أو جينا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل، وإن لم يجب إتياعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً، على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ فلا يجب إتياعه في شيء من الأشياء فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبي كسائر الناس ليس لكلامهم ولا لعملهم تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائماً، كما لا تبقى طاعة حتمية لأوامره ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله.

## الدليل الثاني: النصوص الشرعية

١ - قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطِيعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٤٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ٦٤.

عَنْهُ فَانْتَهَوْا<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(٢)</sup>﴾. وقوله مخاطباً للنبي محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ<sup>(٣)</sup>﴾.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في وصف الأنبياء أنه قال: «فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر. تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام»<sup>(٤)</sup>.

فالحكم باتباع النبي أو الرسول على وجه الإطلاق، يكشف عن أن دعواته وأوامره قولاً وفعلاً حليفة الواقع وقرينة الحقيقة، ولا تختلف عنه قدر شعرة.

٢ - قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿فَعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٥)</sup>﴾.

إنّ الغي تارة يستعمل في خلاف الرشد، وأخرى في فساد الشيء، وعلى ذلك فسواء فسرت الآية بالمعنى الأوّل، كما هو أقرب، أو بالمعنى الثاني، فالعباد المخلصون منزّهون عن أن تغشاهم الغبرة والظلمة في حياتهم أو أن يرتكبوا أمراً فاسداً، ونفي كلا الأمرين يستلزم العصمة.

وأما عصمة النبي محمد ﷺ بالإضافة إلى الأدلة العامة، هناك العديد من النصوص على عصمته منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ<sup>(٦)</sup>﴾، وقوله

(١) الحشر: ٧.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٩٤.

(٥) ص: ٨٢ و ٨٣.

(٦) النجم: ٣ و ٤.

سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة القاصعة: «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»<sup>(٢)</sup>.

## أصناف الأنبياء المرسلين

ذُكر أنّ الأنبياء المرسلين على قسمين:

### الأول: الأنبياء المرسلون أولو العزم

العزم إما بمعنى القصد الجازم أو الصبر أو الثبات، ويؤيده ما ذكره القمي في تفسير الآية: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث قال: «وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليه السلام ومحمد عليه السلام، ومعنى أولي العزم انهم سبقوا الأنبياء إلى الاقرار بالله، والاقرار بكل نبي كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى»<sup>(٤)</sup>.

قال السيد محسن الخرازي: «ثم إن الرسل يختلفون في الفضل والمرتبة، وساداتهم هم أولو العزم منهم، وهم أصحاب الجد والثبات على العهود والميثاق في حد أعلى، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وعليهم أجمعين -، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٠٠.

وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا<sup>(١)</sup> وهم أصحاب الكتب والشرائع، كما قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>».

وورد في الخصال عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين»<sup>(٤)</sup>.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكل نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى، وكل نبي كان في أيام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد عليه السلام، فهو لاء الخمسة أولو العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل:، وشريعة محمد لا تنسخ إلى يوم القيامة ولا نبي بعده إلى يوم القيامة فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب، فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه»<sup>(٥)</sup>.

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام في رواية سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٦)</sup> قال: «هم أصحاب الكتب إن نوحاً جاء

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ج ١، ص ٢١٣.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٣٠٠.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٨٧.

(٦) الأحقاف: ٣٥.

بشريعة...»<sup>(١)</sup> وذكر مثل ما مر.

وفي الاختصاص: رُوي عن ابن عباس أنه قال: «أول المرسلين آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وعليهم وكانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاث مائة وخمسة ومنهم خمسة أولوالعزم صلوات الله عليهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وخمسة من العرب: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلى الله عليهم وخمسة عبرانيون. آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم عليهم السلام، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، والكتب التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام مائة كتاب وأربعة كتب، منها على آدم خمسون صحيفة، وعلى إدريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشرون، وعلى موسى التوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد الفرقان صلى الله عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وفي المحاسن عن سماعة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٣)</sup> فقال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، (صلى الله عليه وآله وعلى جميع أنبيائه ورسله) قلت: كيف صاروا أولى العزم؟ - قال: لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة، فكل من جاء بعد نوح عليه السلام أخذ بكتابه وشريعته ومنهجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرأ به، وكل نبي جاء بعد إبراهيم جاء بشريعة إبراهيم، ومنهجه، وبالصحف، حتى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وشريعته، ومنهجه، وبعزيمة ترك الصحف، فكل نبي جاء بعد موسى، أخذ بالتوراة وشريعته، ومنهجه، حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى، ومنهجه، حتى جاء محمد عليه السلام فجاء

(١) قصص الأنبياء، الراوندي، ص ٢٧٧.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ٢٦٤.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

بالقرآن، وشريعته، ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهو لاء أولو العزم من الرسل»<sup>(١)</sup>.

### الثاني: الأنبياء المرسلون غير أولي العزم

يتبين من الرواية السابقة في محاسن البرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها من الروايات، أن غير أولي العزم من الرسل عليهم السلام هم الذين لم يعثوا بكتاب وشريعة جديدة، وهم دون الرسل أولي العزم عليهم السلام في المرتبة والمنزلة. وهناك بعض الأخبار يُستفاد منها أن غير أولي العزم من الرسل عليهم السلام هم الذين لم يكن لهم عزم فيما عُهد إليهم، ولم يجتمع عزمهم على ذلك العهد، كما في رواية علل الشرائع عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلُغَ آدَمَ سِنِّيًّا وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(٣)</sup> قال: «عهد إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم فيهم هكذا وإنما سمي أولو العزم لأنهم عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به»<sup>(٤)</sup>.

بمعنى أن غير أولي العزم، لم يكن لهم ذلك الاهتمام والعزم التام الذي كان مندوباً إليه في مثل ذلك. وأما بخصوص آدم عليه السلام فكان الرواية محمولة على أنه عليه السلام لم يكن له من العزم والاهتمام التام والسرور بهذا الأمر والتذكر له، بتلك الدرجة التي كانت لأولي العزم من الرسل عليهم السلام.

(١) المحاسن، البرقي، ج ١، ص ٢٧٠.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) طه: ١١٥.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٢٣.

## من أحوال الأنبياء

## البكاؤون

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منها، أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة»<sup>(٣)</sup>.

دعاء إبراهيم عليه السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن سارة قالت لإبراهيم، يا إبراهيم قد كبرت فلو دعوت الله عز وجل أن يرزقك ولدًا تقر أعيننا به، فإن الله قد اتخذك خليلاً وهو مجيب لدعوتك إن شاء، قال: فسأل إبراهيم ربه أن يرزقه غلاماً عليماً، فأوحى الله عز وجل إليه: أنى واهب لك غلاماً

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ٨٦.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٣.

عليها. ثم أبلوك بالطاعة لي. قال أبو عبد الله عليه السلام: فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين، ثم جاءته البشارة من الله عزّ وجلّ، وان سارة قد قالت لإبراهيم: إنك قد كبرت وقرب أجلك، فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن ينسئ في أجلك وأن يمد لك في العمر فتعيش معنا وتقرّ أعيننا، قال: فسأل إبراهيم ربه ذلك قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه سل من زيادة العمر ما أحببت تعطه، قال: فأخبر إبراهيم سارة بذلك، فقالت له: سل الله أن لا يميتك حتى تكون أنت الذي تسأله الموت، قال فسأل إبراهيم ربه ذلك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه ذلك لك، قال: فأخبر إبراهيم سارة بما أوحى الله عزّ وجلّ إليه في ذلك. فقالت سارة لإبراهيم اشكر الله واعمل طعاماً وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة، قال: ففعل ذلك إبراهيم ودعا إليه الناس، فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف معه قائد له فأجلسه على مائدته، قال: فمد الأعمى يده فتناول لقمة وأقبل بها نحو فيه، فجعلت تذهب يميناً وشمالاً من ضعفه ثم أهوى بيده إلى جبهته فتناول قائده يده فجاء بها إلى فمه ثم تناول المكفوف لقمة فضرب بها عينه، قال: وإبراهيم عليه السلام ينظر إلى المكفوف والى ما يصنع قال: فتعجب إبراهيم من ذلك وسأل قائده عن ذلك، فقال له القائد: هذا الذي ترى من الضعف، فقال: إبراهيم في نفسه أليس إذا كبرت أصير مثل هذا؟ ثم إن إبراهيم سأل الله عزّ وجلّ حيث رأى من الشيخ ما رأى، فقال: اللهم توفني في الاجل الذي كتبت لي فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الذي رأيت»<sup>(١)</sup>.

### قصة موسى حين لقي الخضر عليه السلام

قال في تفسير القمي: (... فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف، قالوا: أخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى عليه السلام ان يتبعه وما قصته؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى

لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا»<sup>(١)</sup> قال: وكان سبب ذلك أنه لما كلم الله موسى تكليماً وأنزل عليه الألواح وفيها كما قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>، رجع موسى إلى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أن الله قد أنزل عليه التوراة وكلمه، قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم مني، فأوحى الله إلى جبرئيل أن أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلاً أعلم منك فصر -إليه وتعلم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى عليه السلام وأخبره، فذلل موسى في نفسه وعلم أنه أخطأ ودخله الرعب، وقال لوصيه يوشع بن نون: إن الله قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلّم منه، فتزود يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدوا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه، فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضع على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحي الحوت ودخل في الماء فمضى موسى ويوشع معه حتى عشيا فقال موسى لوصيه: ﴿لَيْتِنَا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾<sup>(٣)</sup> أي: عناء، فذكر وصيه السمك فقال لموسى: إني نسيت الحوت على الصخرة فقال موسى: ذلك الرجل الذي رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعنا على ﴿لَنَارِهِمَا قَصَصًا﴾<sup>(٤)</sup> أي: عند الرجل، وهو في صلواته، فقعد موسى حتى فرغ من صلواته فسلم عليهما»<sup>(٥)</sup>.

### إِذَا الْأَنْبِيَاءُ بَشَرٌ

كان كفار قريش ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم، فبيّن سبحانه أنّه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وأنه لا وجه

(١) الكهف: ٦٠.

(٢) الأعراف: ١٤٥.

(٣) الكهف: ٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ٦٤.

(٥) تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي، ج ٢، صص ٣٧ و ٣٨.

لاقتراحهم إرسال الملك<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿لَا رَجَالًا تُؤِجِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾<sup>(٣)</sup> جاء في التفسير: «ومعناه: ما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام، ولا يموتون، حتى يكون أكلك الطعام، وشربك، وموتك، علّة في ترك الإيمان بك، فإنّنا لم نخرجهم عن حدّ البشرية بالوحي»<sup>(٤)</sup>.

### ذرية رسول الله ﷺ

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾<sup>(٥)</sup> جاء في تفسيره: «أي: نساءً وأولاداً أكثر من نساءك وأولادك، وكان لسليمان ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعمائة سريّة، ولداود مائة امرأة عن ابن عباس، أي: فلا ينبغي أن يستنكر منك أن تتزوج ويولد لك»<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قرأ هذه الآية ثمّ أوماً إلى صدره وقال: «نحن والله ذرية رسول الله ﷺ»<sup>(٧)</sup>.

### دروس وعبر من حياة الأنبياء عليهم السلام

تحفل حياة الأنبياء والرسل بالعديد من الدروس، نذكر منها:

أ - من حياة النبي نوح عليه السلام تتعلّم بأنّ قرابة العقيدة مقدّمة على قرابة النسب، وأنّ القرب والبعد يجب أن يكون مقياسه الإيمان أو الكفر، فقد رحل نوح عليه السلام في سفينة

(١) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٦، ص ١٥٩.

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) المصدر نفسه، ٨.

(٤) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٧، ص ٧٤.

(٥) الرعد: ٣٨.

(٦) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٦، ص ٤٨.

(٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٤٤.

النجاة تاركاً له زوجة وولداً لأبئهما كانا بعيدين عن الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وامتدح الله تعالى نوحاً عليه السلام بأنه كان عبداً شكوراً، فقال: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما عنى الله بقوله لنوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فقال: «كلمات بالغ فيهن، وقال: كان إذا أصبح وأمسى قال: اللهم إنِّي أصبحت أشهدك أنه ما أصبح بي من نعمة في دين أو دنيا، فإنَّه منك وحدك لا شريك لك، ولك الشكر به علي يا رب حتى ترضى وبعد الرضا، فسَمِّي بذلك عبداً شكوراً»<sup>(٤)</sup>.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الرضا، عن آباءه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيوب عليه السلام، والشكر عن نوح عليه السلام، والحسد من بني يعقوب»<sup>(٥)</sup>.

ب - ونستفيد من سيرة النبي إبراهيم عليه السلام ضرورة التوجُّه إلى الله تعالى والانقطاع إليه في كلِّ الحوائج، فإنَّ إبراهيم عليه السلام حينما أُلقي في النار وجاءه جبرائيل عليه السلام قائلاً له: هل من حاجة؟ كان جوابه أمّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فإنَّه يكفيه حالي عن سؤاله عند

(١) الأعراف: ٦٤.

(٢) هود: ٤٢ و ٤٣.

(٣) الإسراء: ٣.

(٤) مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٣٨٨.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٩.

ذلك صدر الأمر الإلهي: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.

عن الإمام الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام، أهبط إليه ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم. قال: عليك السلام يا ملك الموت: أذاع أم ناع؟<sup>(٢)</sup> قال: بل داع يا إبراهيم. فأجب. قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله، فقال: إلهي قد سمعت ما قال خيلك إبراهيم. فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت، اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إن الحبيب يحب لقاء حبيبه»<sup>(٣)</sup>.

ج - ومن حياة النبي يوسف عليه السلام نعرف كيف نجح في الابتلاءات والمغريات وذلك باستحضار عاقبة اقتراف المعصية وآثارها المدمرة، فقد عزف النبي يوسف عليه السلام عن امرأة العزيز بالرغم من أنه بشر في غراته إلا أنه استعصم بتقواه ومعرفته لآثار المعصية، قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الأنبياء: ٦٩.

(٢) قال في بحار الأنوار: المراد بالداعي أن يكون طلبه على سبيل التخيير والرضى كما هو المتعارف فيمن يدعو ضيقاً لكرامته، وبالناعي أن يكون قاهراً طالباً على الجزم والختم، وكان غرض إبراهيم عليه السلام الشفاعة والدعاء لطلب البقاء ليكثر من عبادة ربه إن علم الله صلاحه في ذلك. - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٢، ص ٧٩.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٦٤.

(٤) يوسف: ٢١ - ٢٣.

عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال: «قامت امرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً فقال لها يوسف: ما هذا؟ قالت: أستحي من الصنم أن يرانا، فقال لها يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب، ولا أستحيى أنا ممن خلق الإنسان وعلمه، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾»<sup>(١)</sup>.

د - وندرك من موقف النبي صلى الله عليه وآله من قومه وتعرضه للابتلاء الإلهي، بسبب تركه لهم، وعدم تحمّله المزيد من المعاناة هدايتهم، أنّ على العاملين الخيرين ألا يياسوا من تغيير الآخرين، وأن يبذلوا المزيد من الجهود وأن يصبروا حتى يحققوا الهداية أو اللقاء الحجيّة.

قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَخِينَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال جلّ وعلا: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «... ولكن رجعت إلى ما أمر الله جلّ جلاله به المتقين من الصبر وحسن العزاء، حين يقول لنبية عليها السلام: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾»<sup>(٥)</sup>. وحين يقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾<sup>(٦)</sup> وحين يقول

(١) يوسف: ٢١ - ٢٤.

(٢) الأنبياء: ٨٧ و ٨٨.

(٣) القلم: ٤٨.

(٤) يونس: ٩٨.

(٥) الطور: ٤٨.

(٦) القلم: ٤٨.

لنبيه ﷺ حين مثل بحمزة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وصبر ﷺ ولم يتعاقب<sup>(٢)</sup>.

«وخلاصة ما يُستفاد من الآيات بضمّ بعضها إلى بعض واعتبار القرائن الحافظة بها: أنّ يونس عليه السلام كان من الرسل أرسله الله تعالى إلى قومه وهم جمع كثير يزيدون على مائة ألف، فدعاهم فلم يجيبوه إلا بالكذب والرد، حتى جاءهم عذاب أوعدهم به يونس، ثم خرج من بينهم. فلما أشرف عليهم العذاب وشاهدوه مشاهدة عيان أجمعوا على الإيمان والتوبة إلى الله سبحانه، فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ثم إنَّ يونس عليه السلام استخبر عن حالهم فوجد العذاب انكشف عنهم - وكأنّه لم يعلم بأيّانهم وتوبتهم - فلم يعد إليهم وذهب لوجهه على ما به من الغضب والسخط عليهم، فكان ظاهر حاله حال من يابق من ربّه مغاضباً عليه ظاناً أنّه لا يقدر عليه...»<sup>(٣)</sup>.

هـ - ومن سيرة النبي موسى عليه السلام يستفيد العاملون ضرورة إلقاء الحجّة في دعوتهم إلى الله حتى على الطواغيت، وباستخدام أسلوب الحكمة، قال تعالى مخاطباً نبيّه الكريم موسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(٤)</sup>، وأمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليه السلام بالقول: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(٥)</sup>؛ بعد أن كابد نبي الله موسى عليه السلام الأمرين في طريق الدعوة إلى عبادة الله عزّ وجلّ ونبذ عبادة غيره، قال تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذِّحُ

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣١٧٥.

(٤) النازعات: ١٧ و ١٨.

(٥) طه: ٤٣ و ٤٤.

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ .

رُوي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ: «... أَمَا قَوْلُهُ: ﴿قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْتَمًا﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَى إِلَّا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَأْسِ...»<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي جعفر عليه السلام قَالَ: «فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبٌ - فِيهَا نَاجَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عليه السلام - : يَا مُوسَى اكْتُم مَكْتُومَ سَرِّي فِي سَرِيرَتِكَ وَأَظْهَرِ فِي عِلَانِيَتِكَ الْمَدَارَةَ عَنِّي لِعَدُوِّي وَعَدُوِّكَ مِنْ خَلْقِي، وَلَا تَسْتَسِبْ لِي عِنْدَهُمْ بِإِظْهَارِ مَكْتُومِ سَرِّي فَتَشْرِكَ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّي فِي سَبِّي»<sup>(٣)</sup> .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرِي رَبِّي بِمَدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمْرُنِي بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ»<sup>(٤)</sup> .

(١) القصص: ٣ و ٤ .

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٣٧٣ .

(٣) الكافي الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١١٧ .

(٤) المصدر نفسه .



## الفصل الثالث: النبوة الخاصة لنبي الإسلام ﷺ في

### القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام

بعد أن عمّ الشرك وانتشرت عبادة الأصنام على وجه الأرض، وعانت الشعوب في مختلف الحضارات، ألوان الظلم والحيف وسيطر اليأس على نفوس الناس وعقولهم، وغدوا يعيشون مرارة الخوف والظروف الصعبة، بعث الله الخالق اللطيف الرحيم النبي محمدًا ﷺ لهدايتهم بعد فترة من الرسل ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولًا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>؛ لينجيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فجاء بدين الإسلام؛ الدين الكامل والشامل إلى قيام يوم الدين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وجاء بمعجز ذهل الخلق أجمعين من أن يأتوا بمثله، وفيه من التعاليم الراقية الكفيلة بهداية البشرية إلى الرقي والازدهار: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾.

فنشر رسول الله ﷺ دين التوحيد، ورفض الوثنية وعبادة الأصنام، وعمل على

(١) المائدة: ١٩.

(٢) الجمعة: ٢.

إقامة العدل وبسط القسط، ورفض التمييز وقام بحماية المضطهدين والمظلومين. ولا يخفى أنّ الحديث عن رسول الله محمد ﷺ هذه الشخصية العظيمة التي خاطبها الله سبحانه كما جاء في الحديث القدسي بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك»<sup>(١)</sup>، هو حديث ممتنع من دون هداية الخالق تعالى.

وبناء على قول رسول الله ﷺ نفسه مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا»<sup>(٢)</sup>، فإن أفضل وأوثق مصدر لتقييم شخصية النبي الأعظم ﷺ، يتمثل في القرآن وحديثه ﷺ عن نفسه وأحاديث أهل بيت الرسالة عليه السلام.

تعرضنا في هذا الفصل إلى بحث النبوة الخاصة لنبی الإسلام العظيم محمد ﷺ وما يتعلّق بهذا الموضوع من مسائل، نسأل الله تعالى العون والسداد.

### نسبه ومولده ﷺ

هو رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سيّد المرسلين، وخاتم النبيين صلّى الله عليه وآله الطاهرين، كنيته أبو القاسم. ولد بمكة، يوم الجمعة، السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل. صدع بالرسالة في اليوم السابع والعشرين من رجب، وله ﷺ أربعون سنة. وقبض بالمدينة مسموماً يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر، سنة عشر من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وأمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب.<sup>(٣)</sup>

والنبي محمد ﷺ جاء من آباء وأجداد موّحدين ومؤمنين بالله تعالى بدلالة القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى في النبي ﷺ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلِّبُكَ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) تأويل الآيات، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) المقنعة، الشيخ المفيد، ص ٤٥٧.

السَّاجِدِينَ<sup>(١)</sup>، وقال النبي ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم» (٢). وقال ﷺ: «لم يزل يتقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»<sup>(٣)</sup>. ولو كان في آباءه كافر، لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل في الاسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء...»<sup>(٥)</sup>.

### زهده ﷺ

وقد بلغ رسول الله ﷺ درجة عظيمة في الزهد والعزوف عن الدنيا، فلقد ورد عنه ﷺ أنه قال في هذا المجال: «ما لي والدنيا؟ وما أنا والدنيا؟ إنَّما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف، فقال تحتها<sup>(٦)</sup> ثم راح وتركها»<sup>(٧)</sup>.

ومرّت عليه امرأة بذية وهو يأكل وهو جالس على الأرض، فقالت: «يا محمد والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله ﷺ: ويحك، وأيّ عبد أعبد مني؟! - قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها، فقالت: لا والله، إلا التي في فيك. فأخرج رسول الله ﷺ اللقمة من فمه فناولها، فأكلتها. قال أبو عبد الله عليه السلام: فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا روحها»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشعراء: ٢١٨ و ٢١٩.

(٢) الاعتقادات، الشيخ الصدوق، ص ١١٠.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٤، ص ٩٠.

(٤) التوبة: ٢٨.

(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٥٧.

(٦) أي: نام تحتها نوم قيلولة.

(٧) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٦٨.

(٨) المحاسن، البرقي، ج ٢، ص ٤٥٧.

وروي أنّ الإمام الصادق عليه السلام سئل: هل صحَّ حديث يروى عن أبيك أنّه قال: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله من خبز برّ قطّ؟ فقال: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله خبز برّ قطّ، ولا شبع من خبز شعير قطّ»<sup>(١)</sup>.

عن الإمام الباقر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «خمس لست بتاركهنّ حتّى المات: لباس الصوف، وركوبي الحمار مؤكفاً، وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل بيدي، وتسليمي على الصبيان؛ لتكون سنّة من بعدي»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً من الأنصار أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاعاً من رطب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للخادم التي جاءت به: ادخلي فانظري هل تجددين في البيت قصعة أو طبقا فتأتيني به؟ فدخلت، ثمّ خرجت فقالت: ما أصبت قصعة ولا طبقاً، فكنس ثوبه مكاناً من الأرض، ثمّ قال: ضعيه هاهنا على الحضيض، ثمّ قال: والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ المساكين كانوا يبيتون في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأفطر النبي صلى الله عليه وآله معهم ذات ليلة عند المنبر في برمة فأكل منها ثلاثون رجلاً، ثمّ ردّت إلى أزواجه سبعهنّ»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس قال: «توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها صلى الله عليه وآله رزقاً لعياله»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٣٩٨.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٨٤.

(٤) قرب الإسناد، ص ١٤٨.

(٥) مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ٣٨٩.

## أدلة اثبات نبوته ﷺ

ومن الأدلة على نبوته ﷺ:

## أولاً: القرائن والشواهد

إنّ جمع القرائن والشواهد يمكن أن تكون من الطرق الكفيلة بإثبات صدق دعوى الانبياء عليهم السلام، والنبي ﷺ قد عاش بين أهل مكة واطلعوا عن جزئيات حياته وتعرّفوا على صفاته وخصاله العظيمة خلال أربعين عاماً، فلم يجدوا أية نقطة ضعف في حياته المضيفة والحافلة بالنور والعطاء وعرفوه بالصدق والأمانة حتى لقبوه بالصادق الأمين، والقرائن الدالة على صحة دعوى النبي الأكرم ﷺ كثيرة جداً وفوق حدّ الوصف، ويمكن أن نجملها في النقاط التالية: (١)

## ١ - التأريخ المشرق للنبي الأكرم ﷺ

كانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل إرساله (الصادق الأمين)، وكان أهل مكة يودعون عنده أماناتهم الثمينة ويستأمنونه على أشياءهم القيّمة، ومن الشواهد والأدلة على أمانتهم بالنبي ﷺ أنه حينما حصل خلاف بين أربع قبائل في وضع (الحجر الأسود) في موضعه بعد تجديد بناء الكعبة، رضي الجميع بأن يقوم رسول الله ﷺ بهذه المهمة لكونه رجلاً صادقاً أميناً، فقالوا: «هذا محمد، نعم الصادق الأمين، ذو الشرف الأصيل»، فتصدّى رسول الله ﷺ لهذه المهمة، وحلّ نزاع القبائل حول الحجر الأسود، بفضل سيرته الكريمة بينهم ومنزلته الرفيعة عند الجميع. (٢)

## ٢ - النقاء من تلوث البيئة الاجتماعية

لقد نشأ رسول الله ﷺ وترعرع في بيئة مليئة بأنواع الظلم والردائل والابتعاد عن الأخلاق الحميدة، ومع ذلك فقد نشأ النبي ﷺ إنساناً نقي الجيب طاهر السلوك ولم

(١) انظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليه السلام، الشيخ السبحاني، صص ١٥٢ و ١٥٥، بتصرّف.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٣٨٤.

يوصف بأيّ من الصفات الرذيلة ولم يُعهد منه أيّ انحراف على مستوى القول والفعل، حتى نال في المجتمع درجة رفيعة في الفضائل وحسن السيرة.

### ٣- محتوى الدعوة الإسلامية

حينما نلقي نظرةً فاحصةً على محتوى دعوة النبي الأكرم محمد ﷺ نراها تدعو الناس بشكل مباشر إلى مخالفة كلّ ما كان رائجاً في تلك البيئة آنذاك من الانحرافات الفكرية والعقائدية ورفضه رفضاً مطلقاً؛ حيث كانوا يعبدون الأوثان وقد دعاهم إلى التوحيد ورفض الأوثان، وكانوا ينكرون المعاد وقد دعاهم إلى الإيمان به وعده شرطاً من شروط الإسلام، وكانوا يثدّون البنات ويقبرونهن وهنّ أحياءً ولم يكن للمرأة أية قيمة عندهم آنذاك ولكن النبي ﷺ أعاد إليها كرامتها الانسانية ومنزلتها اللائقة بها.

### ٤- أدوات الدعوة ووسائلها

إنّ الأدوات والوسائل التي استخدمها النبي ﷺ لنشر دعوته واستعان بها لنشر دينه، كانت إنسانيةً وأخلاقيةً تماماً، فهو ﷺ لم يستخدم أبداً الأساليب اللاإنسانية كقطع الماء على خصومه أو تسميمه وتلويثه له أو قطع الأشجار أو ما شابه ذلك من الأساليب اللاإنسانية؛ بل أوصى النبي ﷺ في الحروب التي خاضها المسلمون حينذاك بأن لا يلحق الأذى بالنساء والأطفال والعجائز وكبار السن وبعدم قطع الأشجار وأن لا يشرع في قتال العدو قبل الدعوة إلى الإسلام وإتمام الحجة عليه.

فالإسلام يرفض رفضاً قاطعاً المنطق القائل بأن (الغاية تبرّر الوسيلة)، وكمثال على ذلك أنّ النبي ﷺ رفض اقتراح أحد اليهود لإخضاع العدو في وقعة خيبر عن طريق إلقاء السمّ في الماء. وحياء رسول الإسلام ﷺ زاخرة بقصص التعامل الإنساني النبيل مع الأعداء.

## ٥ - شخصية المؤمنين به وخصالهم

إنّ دراسة أفكار المؤمنين بالنبي ﷺ والمنضوين تحت لوائه، وأحوالهم وشخصياتهم يمكن أن توضح مدى صدقه وصحة دعواه، فمن البديهي أن الدعوة إذا تأثر بها الشخصيات المتميزة في المجتمع وانضوا تحت رايتها، واعتنقوها بصدق وإخلاص، كان ذلك آية صدقها وصحتها ودليلاً على حقانيتها، وواقعيتها، ولكن إذا التفّ حوله طلاب الدنيا وعباد المال والشهوة، كان ذلك دليلاً على ضعف ادعائه.

لقد كان بين المنضوين تحت لواء رسول الإسلام شخصيات عظيمة في غاية النبل والفضيلة كالإمام علي عليه السلام وسلمان وعمار وبلال ومصعب وابن مسعود والمقداد وأبي ذر وغيرهم ممّن شهد لهم التاريخ بالطهر والصفاء وسموّ الشخصية ونزاهة الأخلاق.

## ٦ - التأثير الإيجابي في البيئة الاجتماعية، وتأسيس حضارة عظيمة

استطاع رسول الإسلام ﷺ في مدّة لا تتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة أن يغيّر وضع الجزيرة العربية تغييراً جوهرياً ويسمو بها إلى درجات مرموقة، فاستطاع أن يصنع من قطاع طرق وسلايين، أشخاصاً أمناء، ومن عباد أوثان وأصنام موحدّين بارزين، فلم يصنعوا حضارةً عظيمة في محل سكناهم فحسب؛ بل نشروا حضارتهم الإسلامية الرائعة الفريدة إلى مناطق أخرى من العالم أيضاً.

فها هو جعفر بن أبي طالب عليه السلام من مسلمي صدر الإسلام يؤكّد على هذه النقطة حينما قال في معرض الإجابة على سؤال النجاشي الذي سأله عن أحوال النبي الكريم عليه السلام: «أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّدّه ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث،

وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ومنها عن الفواحش، وقول الزور...»<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه القرائن ونظائرها، يمكن أن تقودنا إلى صدق قول رسول الإسلام وحقانية هدفه، فمن المحتم أن رجلاً بهذه الخصوصيات لا يرتكب الكذب أبداً، وفي النتيجة يجب أن يقال: إنه كان صادقاً في ادعائه النبوة وارتباطه بعالم الغيب كما تؤيد قرائن أخرى كثيرة هذا الأمر بوضوح أيضاً والتاريخ مليء بالأمثلة عليها.

### ثانياً: بشائر الأنبياء السابقين

من الممكن أن تثبت نبوة شخص بتبشير نبي آخر، وإخباره عنه، وتعريفه به؛ بحيث لا يبقى أي شك أو تردد عند الباحثين عن الحقيقة بأنه نبي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد كان ينتظر ظهور النبي ﷺ جماعة من أهل الكتاب، وكانوا يقولون للمشركين من العرب بأنه سيبعث بالرسالة أحد أبناء إسماعيل عليه السلام وقد آمن بالنبي محمد ﷺ بعض علماء اليهود والنصارى اعتماداً على مثل هذه البشائر والأخبار، ومن الأدلة على هذا في القرآن وروايات أهل البيت:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ \* أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي

(١) دلائل الإمامة، ص ١٢.

(٢) الصف: ٦.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

إِسْرَائِيلَ<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ<sup>(٢)</sup>﴾، وقال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ<sup>(٣)</sup>﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٤)</sup>﴾، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ<sup>(٥)</sup>﴾، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(٦)</sup>﴾.

عن الإمام الرضا عليه السلام: «في الإنجيل مكتوب: إن ابن البرة ذاهب و(الفارقليطا) جاء من بعده، وهو الذي يخفف الأصار، ويفسر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل»<sup>(٧)</sup>.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء أن يخبروا أممهم بمبعث رسول الله (وهو محمد) ﷺ ونعته وصفته ويشرحوهم به، ويأمروهم وعنه ﷺ في صفة مبعث النبي ﷺ: «... إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ»

(١) الشعراء: ١٩٦ و ١٩٧.

(٢) الصف: ٦.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) البقرة: ٨٩.

(٥) المائدة: ٨٣ و ٨٤.

(٦) الأحقاف: ١٠.

(٧) التوحيد، ص ٤٢٨.

(٨) تأويل الآيات، ج ١، ص ١١٦.

لإنجاز عدته وإتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهوراً سماته»<sup>(١)</sup>.

وروي أنه كان بمكة يهودي يقال له: يوسف، فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك حينما ولد النبي ﷺ قال: «هذا نبي قد ولد في هذه الليلة، وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد، وهو آخر الأنبياء، رجمت الشياطين، وحجبوا عن السماء، فلما أصبح قالوا: لا، قال: أخطأتم والتوراة: ولد إذاً بفلسطين وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، ففرق القوم، فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل واحد منهم أهله بما قال اليهودي، فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة: فأخبروا لذلك يوسف اليهودي. فقال لهم: قبل أن أسألكم أو بعده؟ فقالوا: قبل ذلك، قال: فأعرضوه علي فمشوا إلى باب بيت آمنه، فقالوا: أخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهودي، فأخرجته في قماطه، فنظر في عينيه وكشف عن كتفيه، فرأى شامة سوداء بين كتفيه، وعليها شعرات، فلما نظر إليه وقع على الأرض مغشياً عليه، فتعجب منه قريش وضحكوا عليه، فقال: أتضحكون يا معشر قريش هذا نبي السيف ليبترنكم وقد ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد، وتفرق الناس ويتحدثون بخبر اليهودي»<sup>(٢)</sup>.

وروي أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام: «هل تعرفون محمداً في كتابكم؟ قال: نعم، والله نعرفه بالنعته الذي نعت الله لنا إذا رأينا فيكم، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد هذا أشد معرفةً مني بابني»<sup>(٣)</sup>.

### تصديق النبي السابق

إن تصديق النبي السابق للنبي اللاحق هو أحد الطرق لإثبات دعوى النبوة، وذلك لأنّ الفرض هو أن نبوة النبي السابق قد ثبتت بالأدلة القاطعة، ولهذا من

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١.

(٢) كمال الدين، صص ١٩٦ و ١٩٧.

(٣) تفسير القمي، ج ١، ص ١٩٥.

الطبيعي أن يكون كلامه سنداً قاطعاً للنبوة اللاحقة، ويستفاد من بعض الآيات القرآنية أن أهل الكتاب كانوا يعرفون رسول الإسلام كما يعرفون أبناءهم، يعني أنهم قرأوا علامات نبوته في كتبهم السماوية، وقد ادعى رسول الإسلام هذا الأمر، ولم يكذبه أحد منهم أيضاً، كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وأنه يأتي من بعده نبي اسمه (أحمد): ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الآيات الكريمة.

وكان النبي الأكرم ﷺ يحتج على اليهود والنصارى بأنه قد بُشِّر به في العهدين، وأن أهل الكتاب لو رجعوا إلى كتبهم - حتى بعد التحريف - لوجدوا بشائره فيها وتعرفوا عليه كتعرفهم على أبنائهم، كان يحتج بهذه الكلمات ولم يكن هناك أي ردّ من الأحرار والرهبان في مقابله، بل غاية جواهم كان السكوت وإخفاء الكتب وعدم نشرها بين أتباعهم.<sup>(٣)</sup>

#### بشائر الكتب السابقة: النصارى واليهود والمجوس

إن علماء المسلمين في الأعصار السابقة نقبوا في العهدين، وجمعوا البشارات الواردة فيهما. ونكتفي في ذلك بنقل نماذج من بشائر الكتب السابقة: النصارى واليهود والمجوس.

ومن الطريف أن نعلم أن الإنجيل - رغم تعرضه للتحريف منذ قرون - قد بُشِّر في إحدى نسخه وهو إنجيل يوحنا (الاصحاح ١٤، ١٥، ١٦) بمجيء شخص بعد السيد المسيح يدعى «فارقليط» (أي: محمد بالسريانية)<sup>(٤)</sup>.

(١) البقرة: ١٤٦.

(٢) الصف: ٦.

(٣) انظر: محاضرات في الإلهيات، الشيخ السبحاني، ص ٢٩٥.

(٤) كما سيأتي في هذا البحث، إن شاء الله.

## بشائر أسفار النصارى

- ومن النصوص التي وردت في الإنجيل الحلي المترجم إلى اللغة العربية: (١)
- ١- إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكُم مُعزّيّاً آخر ليملك معكم إلى الأبد. (٢)
- ٢- وأما المُعزّي، الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم. (٣)
- ٣- ومتى جاء المُعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء. (٤)
- ٤- لكنني أقول لكم الحق، إنّه خير لكم أن أنطلق لأنّه إن لم أنطلق لا يأتكم المُعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم \* ومتى جاء ذلك يُبكّت العالم على خطيئة وعلى برّ وعلى دينونة. (٥)
- ٥- وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنّه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع، يتكلّم به، ويخبركم بأمر آتية. (٦)
- وجه الاستدلال يتوقف على بيان نكتة، وهي أنّ المسيح عليه السلام كان يتكلم بالعبرية، وكان يعظ تلاميذه بهذا اللسان، لأنه وُلِدَ وشبّ بين ظهرانيتهم، وأمّه أيضاً كانت عبرانية، هذا من جانب.
- ومن جانب آخر؛ قد أجمع المؤرّخون على أنّ الأناجيل الثلاثة - غير متى - كتبت من

(١) عن: الإلهيات، لآية الله جعفر السبحاني.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، الجملتان ١٥ و١٦.

(٣) المصدر نفسه، الإصحاح الرابع عشر، الجملة ٢٦.

(٤) المصدر نفسه، الإصحاح الخامس عشر، الجملة ٢٦.

(٥) المصدر نفسه، الإصحاح السادس عشر، الجملتان ٧ و٨.

(٦) المصدر نفسه، الإصحاح السادس عشر، الجملة ١٣.

أول يومها باللغة اليونانية، وأمّا إنجيل متى فكان عبرياً من أول إنشائه.

وعلى هذا، فالمسيحُ بَشَّرَ بما بَشَّرَ باللغة العبرية أولاً، وإنّما نقله إلى اليونانية، كاتب الإنجيل الرابع (يوحنا) وكان عليه التحفظ على لفظ المسيح في مورد المَبَشَّرَ به؛ لأنّ القاعدة الصحيحة عدم تغيير الأعلام والإتيان بنصّها الأصلي، لا ترجمة معناها. ولكن (يوحنا) لم يراع هذا الأصل، وترجمه إلى اليونانية، فضع لفظه الأصلي الذي تكلم به المسيح، وفي غبّ ذلك حصل الاختلاف في المراد منه.

وأما اللفظ اليوناني الذي وضعه الكاتب «يوحنا» مكان اللفظ العبري، فهو مردد بين كونه (باراقليطوس)<sup>(١)</sup> الذي هو بمعنى المعزّي والمُسَلّي والمُعِين والوكيل، أو (بريقليطوس)<sup>(٢)</sup> الذي هو بمعنى المحمود، الذي يرادف أحمد. ولأجل تقارب الكلمتين في الكتابة والتلفظ والسمع، حصل التردد في المَبَشَّرَ به. ومُفَسِّرُو ومترجمو إنجيل يوحنا، يصرون على الأول، ولأجل ذلك ترجموه إلى العربية بـ(المعزّي)، وإلى اللغات الأخرى بما يعادله ويرادفه، وادّعوا أنّ المراد منه هو روح القدس، وأنّه نزل على الحواريين في اليوم الخمسين بعد فقدان المسيح، كما ذكر تفصيله في كتاب أعمال الرسل<sup>(٣)</sup>. وزعموا أنّهم بذلك خلعوا المسلمين عن السلاح الذي كانوا يحتجون به عليهم.

ومع ذلك، فهناك قرائن تلقي الضوء على أنّ المَبَشَّرَ به هو الرسول الأعظم، لا روح القدس، ومن هذه القرائن:

(١) في اليونانية هكذا: IIAPAKAHTOE. وبالإفرنجية هكذا Paracletos.

(٢) في اليونانية هكذا IIPIKAHOTE. وبالإفرنجية هكذا Pericletos.

(٣) أعمال الرسل، الإصحاح الثاني: الجملات ١ - ٤. يقول: ولما حضر يوم الخمسين كان، الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملاً كلّ البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا.

١- إنَّ المسيح بدأ خطابه إلى تلاميذه بقوله: «إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَنِي، فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِّ فَيُعْطِيكُمْ (معزي) آخِرَ، لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ».

وهذا الخطاب يناسب أن يكون المُبَشِّرُ به نبياً؛ لأنَّ المسيح يحتل في هذا الكلام أن يتخلَّف عدَّة منهم عن اقتفاء أثره ودينه، ولذلك أثار عواطفهم في هذا المجال لئلا يتخلَّفوا. ولو كان المراد منه روح القدس لما احتاج إلى تلك المقدمة، لأنَّ تأثيره في القلوب تأثير تكويني لا يمكن لأحد التخلَّف عنه، ولا يبقى في القلوب معه شكٌّ، وهذا بخلاف تأثير النبي فإنَّه يؤثر ببيانه وكلامه في القلوب والأرواح، وهو يختلف حسب اختلاف طبائع المخاطبين واستعدادهم.

ولأجل ذلك أصرَّ على إيمانهم به في بعض خطباته وقال: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون»<sup>(١)</sup>.

٢- إنَّه وصف المُبَشِّرُ به بلفظ آخر، وهذا لا يناسب كون المبعث به نظير روح القدس لعدم تعدده، وانحصاره في واحد، بخلاف الأنبياء فإنَّهم يجيئون واحداً بعد الآخر، في فترة بعد فترة.

٣- إنَّه ينعت ذلك المبعث به بقوله: «لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ» وهذا يناسب نبوة النبي الخاتم التي لا تُنسخ.

٤- إنَّه يقول: «وَأَمَّا (المعزي الروح القدس) الَّذِي سِيرَ سَلَهُ الْأَبُّ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُمْ لَكُمْ». وهذه الجملة تناسب أن يكون المبعث به نبياً يأتي بعد فترة من رسالة النبي السابق بعد أن تصير الشريعة السابقة على وشك الاضمحلال والاندثار. فيأتي النبي اللاحق، يذكّر بالمنسي ويزيل الصدأ عن الدين.

وأما لو كان المراد هو روح القدس فقد نزل على الحواريين بعد خمسين يوماً من فقد

المسيح، حسب ما ينص عليه كتاب أعمال الرسل<sup>(١)</sup>.

أفيظن أنّ الحواريين نسوا في هذه المدة اليسيرة معالم المسيح وتعاليمه حتى يكون النازل هو الموعود به؟!

٥- يصف المسيح المبشّر به بقوله: «فهو يشهد لي». وهذه العبارة تناسب أن يكون المبشر به هو النبي الخاتم حيث بُعثَ مصدّقاً للشرائع السابقة والكتب السالفة، وقد أمره سبحانه أن يخاطب أهل الكتاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك. ومن المعلوم أنّ الرسول الأكرم شهد برسالة المسيح، ونزّه أمّه وابنها، عن كلّ عيب وشين، وردّ كلّ ما ألصق بهما من جهلة اليهود من التهم التافهة. وهذا بخلاف ما إذا فُسّر بروح القدس، إذ لم يكن للمسيح يومذاك أي حاجة لشهادته، ودينه وشريعته بعد غضبانٍ طريان.

٦- إنه يقول: «لأنّه إن لم انطلق، لا يأتاكم (المعزي)، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم». وهذا يناسب أن يكون المبشّر به نبياً، حيث علّق مجيئه بذهابه، لأنّه جاء بشريعة عالمية، ولا تصحّ سيادة شرعيتين مختلفتين على أمة واحدة.

ولو كان المبشّر به هو روح القدس، لما كان لهذا التعليق معنى، لأنّ روح القدس حسب تصريح إنجيلي متى ولوقا، نزل على الحواريين عندما بعثهم المسيح للتبشير والتبليغ<sup>(٣)</sup>.

٧- يقول: «ومتى جاء ذلك يبيّك العالم على خطيّة، وعلى برّ، وعلى دينونة...». وهذا يؤيد أن يكون المبشّر به نبياً، إذ لو كان المراد هو روح القدس، فهو نزل في يوم

(١) أعمال الرسل، الإصحاح الأول، الجملة ٥. والإصحاح الثاني، الجملات ١ - ٤.

(٢) النساء: ٤٧.

(٣) لاحظ إنجيل متى: الإصحاح العاشر، الجملة الأولى فما بعدها. وإنجيل لوقا: الإصحاح العاشر، الجملة ١١، وفيها: ولكن اعلموا هذا: إنه قد اقترب منكم ملكوت الله.

الدار على الحواريين حسب زعمهم، فما وَبَّخَ اليهود الذين لم يؤمنوا به أصلاً، لعدم رؤيتهم إياه. ولم يوبخ الحواريين، لأنهم كانوا مؤمنين به.

٨- يقول: «ومتى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية».

وهذا يتناسب مع كون المَبْشَّر به نبياً خاتماً، صاحب شريعة متكاملة، لا يتكلم إلا بما يوحى إليه، وهذه كلها صفات الرسول الأكرم محمد ﷺ.

فجميع هذه القرائن تشهد بوضوح على أن المراد من «المعزي» المَبْشَّر به، هو النبي الأكرم لا روح القدس، ولو أمعنت النظر في سائر القرائن التي ذكرها المحققون من المسلمين في تفسير هذا اللفظ لأيدت القرائن<sup>(١)</sup>.

وذكر أن في الإنجيل: «يا عيسى، جد في أمري ولا تهزل، واسمع وأطع، يا ابن الطاهرة الطهر البكر البتول أنت من غير فحل، أنا خلقتك آية للعالمين فيآي فاعبد، وعلي فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل سوريا بالسريانية، بلغ من بين يديك إني أنا الله الدائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأُمِّي صاحب الجمل والمدرعة والتاج - وهي العمامة - والنعلين والمراوة - وهي القضيبة -، الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدين، الأقبى الأنف، مفلج الثنايا، كأن عنقه إبريق فضة، كأن الذهب يجري في تراقيه...»<sup>(٢)</sup>.

### بشائر أسفار اليهود<sup>(٣)</sup>

جاء اسم نبي الإسلام ﷺ في التوراة (العهد القديم) في سفر (نشيد الإنشاد) ٥ : ١٦ : «هكّو ممتكّيم و - كهلّو محمدّيم زه دودي و - زه رعي بنوث -

(١) انظر: أنيس الأعلام في نُصرة الإسلام، ج ٥، صص ١٣٩ - ١٧٢. عنه: الإلهيات، جعفر السبحاني، ج ٣، ص ٤٥٢، بتصرّف.

(٢) كمال الدين ونظام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ١٦٠.

(٣) تمّ اقتباس نصوص التوراة في هذا البحث من كتاب: محمد ﷺ في الكتب المقدسة، سامي العامري.

يوروشلايم».

ولابدّ من ملاحظة كلمة «محمديم» هنا، وهي تشير كما هو ظاهر إلى اسم نبي الإسلام ﷺ، وفيما يتعلق بزيادة «يم» في هذه الكلمة، يقول المختصّون في اللّغة العبرية أنّها للتفخيم والتعظيم.

وكلمة «محمّد» لها نفس المعنى في كلّ من اللّغة العربية واللّغة العبريّة، وهي صيغة التفضيل من الرجل المحمود.

المقابل العربي الصحيح للعدد ١٦ من الفصل ٥ من سفر نشيد الإنشاد: «كلامه أحسن الكلام، إنّهُ محمّد العظيم. هذا هو حبيبي، وهذا هو صديقي (أو خليلي)، يا بنات أورشليم».

والشرح اللغوي لجملة: «هكّو ممتكيم» هو: أن كلمة «هكّو» هي من الجذر «هكه» أو «هنكه». ومعنى هذين الجذرين هو: داخل الفم، حنك، سقف الحلق، حاسة التدوق، لسان أو لغة. هذا من الناحية اللغوية، أمّا من الناحية الاصطلاحية في الكتاب المقدس فإنّ الفم والحنك واللغة كلّها تعني الكلام المنطوق، ومن ذلك: «جدّفوا على السماء بأفواههم، ولو ثوا الأرض بخبث ألسنتهم». (المزمور ٧٣: ٩). «جعل فمي كسيف قاطع..» (سفر إشعياء ٤٩: ٢).

وقد جاء في سفر العدد ٣٣: ٢٨ ذكر كلمة «مثقّة»، وهي مكان ونبع ماء في البلاد العربية حيث توقف بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر.

أمّا الباء والميم في «ممتكيم» هما للتفخيم والتعظيم، وهو ما يظهر من التراجم الانجليزية نفسها.

فمعنى المقطع الأوّل إذاً هو: «كلامه أحسن الكلام».

(و - كهلو محمديم): كلمة «محمديم» هي من الجذر العبري «حمد» كما في المعاجم العبرية «الاشتهاء»، وتستعمل هذه الكلمة أيضاً بمعنى الحمد والتبجيل. فالاسم

«محمد» والشخصية «مشتهة» أي جذابة تستحق كل الحب والتبجيل والإكبار.

«زه دودي»: تعني «زه»: «هذا»، أما «دودي» فمعناها في اللغة العبرية «صديقي» أو «محبوبي»، وهي تستعمل بصفة خاصة بمعنى العم، وقد جاء في المعاجم الانجليزية ما يؤيد ذلك أيضاً.

إذاً، استعمال كلمة «دودي» يدل على أن الـ (محمد) سيكون من جهة عمومة النبي سليمان المتحدّث، والنبي محمد ﷺ من أبناء إسماعيل عليه السلام الذي هو أخ لإسحاق عليه السلام الذي جاء منه سليمان عليه السلام صاحب البشارة. وليس للنصراني أن يزعم أن يسوع هو موضوع البشارة لأنّه كسليمان من أبناء إسحاق.

«و - زه رعي»: معنى «و - زه»: «وهذا». ومعنى «رعي»: جار، صديق، فرع آخر.

والنبي محمد ﷺ صديق لسليمان عليه السلام لمحبة الأنبياء لبعضهم البعض، وهو جار له إذ أن الشام التي سكنها سليمان عليه السلام تقع بجوار بلاد العرب التي ظهر فيها نبي الإسلام ﷺ. وهو من الفرع الآخر: من نسل إسماعيل.

«بنوث - يوروشلايم»: تعني كلمة «بنوث» حرفياً «بنات»، وهي في اللهجة اليهودية تعني «سكان».

وقد جاء في معجم اللغة العبرية: سكان مدينة أو بلاد، رجالاً ونساءً.

كلمة «يوروشلايم» تشير عادة إلى مدينة القدس. وعلى كل حال فأصل الكلمة هو «يارو» أي: ناس، أو: بيت. ويكون معنى المقطع الأخير إذاً: «يا سكان بيت السلام».

ولا تشير عبارة «بيت السلام» إلى هيكل القدس؛ لأنّ هذا الهيكل ما عرف السلم والأمن بل تعرّض للكثير من النوائب، كما أنّ المسيح قد تأقّف من الظلم الذي سيطر على أورشليم، فقال: «يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراحمة المرسلين إليها» (إنجيل متى ٢٣: ٣٧)، أمّا كعبة إبراهيم عليه السلام فقد حفّها الأمن والأمان طوال قرون

عديدة كما دفع الله سبحانه عنها شرَّ أبرهة الذي جاء من الحبشة لهدمها. ثم إنَّ القرآن الكريم قال: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾<sup>(١)</sup>، فهي حقاً بيت السلام والأمان.

وتفصيل ما جاء في أعداد الفصل الخامس من هذا السفر يؤكد حقيقة «المحمديم» الذي عرفنا شخصيته من خلال اسمه «محمد» ﷺ:

«حبيبي متألّق وأحمر، علم بين عشرة آلاف. ١١ رأسه ذهب خالص وغدائره متموجة حالكة السواد كلون الغراب. ١٢ عيناه حمامتان عند مجاري المياه، مغسولتان مستقرتان في موضعهما. ١٣ خداه كخميلة طيب تفوحان عطراً، وشفته كالسوسن تقطران مرأً شدياً. ١٤ يدها حلقتان من ذهب مدورتان ومرصعتان بالزبرجد، وجسمه عاج مصقول مغشى بالياقوت الأزرق. ١٥ ساقاه عمودا رخام قائمتان على قاعدتين من ذهب نقي، طلعتة كلبنان، كأهبي أشجار الأرز. ١٦ فمه عذب، وكلّه مشتهيات.

هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي يا بنات أورشليم!» [نشيد الانشاد: ٥ : ١٠ - ١٦]

فهو: «متألّق وأحمر» و «رأسه ذهب خالص وغدائره متموجة حالكة السواد كلون الغراب» و «خداه كخميلة طيب تفوحان عطراً، وشفته كالسوسن تقطران مرأً شدياً...»:

عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة النبي ﷺ قال: «كان النبي ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة<sup>(٢)</sup>، دقيق المسربة<sup>(٣)</sup>، كأنها عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبتة إلى سرتة كقضيبي خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنها ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنها ينحدر من صلب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الوفرة: ما سال على الأذنين من شعر الرأس.

(٣) المسربة: الشعر وسط الصدر إلى البطن.

كله، ليس بالقصير المتردد ولا بالطويل الممعط<sup>(١)</sup>، وكان في وجهه تداوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنها عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك، ليس بالعاجز ولا باللثيم، أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وأجودهم كفاً، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه، غرة بين عينيه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام في صفة نبي الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كان نبي الله عليه السلام أبيض مشرب حمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف<sup>(٣)</sup> كأن الذهب افرغ على برائته<sup>(٤)</sup> عظيم مشاشة المنكبين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سربته سائلة، من لبتة إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة وكان عنقه إلى كاهله إبريق فضة، يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفاً كأنه ينزل في صيب، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده صلى الله عليه وآله»<sup>(٥)</sup>.

جاء عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: «أن ملك الروم عرض على الحسين بن علي عليهما السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنما يلوح، فلما نظر إليه بكى بكاءً شديداً، فقال له الملك: ما يبكيك؟ فقال: هذه صفة جدي محمد صلى الله عليه وآله: كثيف اللحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، أفنى الانف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، ققط الشعر، طيب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر...»<sup>(٦)</sup>.

«علم بين عشرة آلاف»:

العلم أي: الراية، وقد يكون في العلم هنا دلالة على رفع راية الإسلام على يد

(١) الممعط: المفرط الطول.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٣٤١.

(٣) أي: خشنها والعرب تمدح الرجال بخشونة الكف والنساء بنعومتها.

(٤) أفرغ: صب، برائته: كفه مع الأصابع وفي بعض النسخ، والمشاشة: رأس العظم.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٤٣.

(٦) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٧١.

النبى ﷺ يوم فتح مكة مع عشرة آلاف من المسلمين آنذاك، فقد جاءها فاتحاً فهو يوم النصر والفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال في مجمع البيان: «ذكر أهل التفسير، وأصحاب السير، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة خرج منها متوجّهاً إلى (حنين) لقتال هوازن وثقيف، في آخر شهر رمضان، أو في شوال، من سنة ثمان من الهجرة [...] وعقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لواءه الأكبر، ودفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكلّ من دخل مكة براية، أمره أن يحملها، وخرج بعد أن أقام بمكة خمسة عشر يوماً [...] وكان عليه السلام دخل مكة في عشرة آلاف رجل، وخرج منها في اثني عشر ألفاً»<sup>(٣)</sup>.

وذكر من معجزات نبى الإسلام ﷺ أنه: «خرج قاصداً مكة في عشرة آلاف فارس من المسلمين، فلم يشعر أهل مكة حتى نزل تحت العقبة [...] ودخل النبى ﷺ مكة، وكان وقت الظهر، فأمر بلالاً، فصعد على ظهر الكعبة فأذّن، فما بقي صنم بمكة إلا سقط على وجهه»<sup>(٤)</sup>.

«عيناه همامتان عند مجاري المياه. مغسولتان مستقرتان في موضعهما»:

وللحمامة وعيناها دلالات بارزة في الكتاب المقدس: يقول البابا شنودة في مقال له في جريدة وطني نشره في موقعه على الإنترنت، في تفسيره لنشيد الإنشاد ١: ١٥: «.. العين البسيطة التي كالحمامة. تمثل البراءة. ولهذا يقول السيد المسيح:» إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيراً (...)

(١) النصر: ١.

(٢) الفتح: ١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، صص ٣٣ و ٣٤.

(٤) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ١٦٢.

«عيناه هامتان»؛ أي: تمثّلان الوداعة واللطف والطيبة والودّ، تمثّلان النفس الجميلة الهادئة البسيطة الروحية الحرّة. ومحال أن يكون أحد قد رأى حمّامة عابسة متجهّمة. الحمام أيضاً يهدل دائماً، فيرمز إلى حياة التسبيح الدائمة.

ومعلوم لمن قرأ صفحات من سيرة نبي الإسلام ﷺ مبلغ وداعته ولين جانبه وتسييحه الدائم.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وبلغت أخلاق النبي ﷺ وفضائله مبلغاً عظيماً، حتى امتدحه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث عن النبي ﷺ: «...إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدرة وجوفه أريز كأريز كأريز الرجل على الأثافي من شدة البكاء»<sup>(٤)</sup>، وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه، فأراد أن يتخشّع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه، يقوم الليل أجمع، حتى عوتب في ذلك فقال الله عزّ وجلّ: ﴿طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾<sup>(٥)</sup>؛ بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله، أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً؟<sup>(٦)</sup>.

- «فمه عذب»: أو «كلامه أحسن الكلام»..

(١) ق: ٣٩ و ٤٠.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) القلم: ٤.

(٤) الأريز: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. والمرجل - كمنبر - : القدر. والأثافي: الأحجار التي يوضع عليها القدر.

(٥) طه: ١ و ٢.

(٦) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٣٢٦.

وهذه شهادة من مستشرق غير مسلم: قال الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسي حينما كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسية بترجمة ٦٢ سورة من السور الطوال التي لا تكرر فيها، ففعل وقال في مقدمة ترجمته الصادرة سنة ١٩٦٢: «أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق جلّ وعلا. فإنّ الأسلوب الذي ينطوي على كنهه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهياً. والحقّ الواقع أنّ أكثر الكتاب شكّاً وارتياباً قد خضعوا لسلطان تأثيره [...] يفيض جزالة في اتساق نسق، متجانساً مسجّعاً، لفعله أثر عميق في نفس كلّ سامع يفقه العربية. لذلك كان من الجهد الضائع غير المثمر أن يحاول الإنسان أداء تأثير هذا النثر البديع «الذي لم يسمع بمثله» بلغة أخرى. وخاصّة الفرنسية القاسية الضيقة «التي لا تتسع للتعبير عن الشعور».. وزد على ذلك أنّ اللّغة الفرنسية ومثلها جميع اللغات العصرية ليست لغة دينية. وما استعملت قطّ للتعبير عن الألوهية».

#### بشائر المجوس<sup>(١)</sup>

ذهب كثير من الزرادشتيين، عامتهم وخاصتهم، إلى أنّ زرادشت إمامهم، هو نفسه إبراهيم عليه السلام، فالأسدي في كتابه (لغت فرس) يقول: «الأبستاق تفسير الزند وكان الزند صحف إبراهيم» ويقول صاحب البرهان القاطع: «كان إبراهيم زرادشت يدعي أنّ الزند صحف إبراهيم».

لا شك أنّ هذا الادعاء لا يستقيم للفارق الزمني الهائل بين إبراهيم عليه السلام وزرادشت، إذ أنّ زرادشت قد عاش في أصح الأقوال في القرن السابع قبل الميلاد، أي بعد مئات السنين من وفاة إبراهيم عليه السلام!!

(١) الاستفادة من نصوص بشائر المجوس من كتاب: محمد في الأسفار المقدّسة الفارسية والهندية والبوذية، عبد الحق فديارتي وي. علي، عنه: محمد ﷺ في الكتب المقدّسة، سامي العامري، صص ٤٤٦ - ٤٥٠، بتصرّف.

قد وجدت الكتب المقدسة المجوسية في لغتين: الزندية والبهلوية. كما وجدت كتابات باللغة المسهرية. الكتابة البهلوية تشبه الكتابة الفارسية الحديثة لكنها تخالف اللغة الزندية والفارسية القديمة.

تضم الأسفار المجوسية قسمين هامين من الكتب الدينية: الأولى تعرف بـ (دساتير) والثانية تعرف بـ (أفستا) (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند) التي تعرف باللغة العربية بـ (الأبستاق)، وتتكون كلٌّ منهما من جزأين (كردا دساتير) و (كلن دساتير) و (كردا أفستا) و (كلن أفستا).

رغم ما يعرف عن هذه الكتب من أنها تروج لعقائد مصادمة للإسلام، فإن القراءة فيها تكشف وجود تشابه كبير بين أصول الإسلام وأصول المجوسية، من ذلك:

التوحيد: جاء عن زرادشت قوله في (دساتير) ص ٦٩: «هو واحد».

ليس كمثله شيء: «لا أحد نظير له».

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>(١)</sup>: جاء في (دساتير): «ليس له مبتدأ ولا نهاية... ولا أب ولا أم

ولا زوج ولا ولد».

﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>: جاء في (دساتير): «يهب حياة ووجوداً للكُلِّ».

هو وحده من له الخلود: جاء في (دساتير) ص ٦٦: «لم يوجد قبلك شيء ولن يبقى

بعدك شيء».

لا تدركه الظنون: جاء في (دساتير): «هو فوق كل ما من الممكن أن تتصوره».

العمل الصالح هو السبيل إلى الجنة: جاء في (دساتير) ص ١٣: «عندما يغادر المرء

صاحب العمل الصالح بدنه، أرسله إلى الجنة».

عذاب النار بشدة الحرّ وشدة البرد: جاء في (دساتير) ص ١٣: «أهل النار يمكثون

(١) الإخلاص: ٣.

(٢) الأنعام: ١٠٢.

فيها إلى الأبد. ويعذبون بكل من الحر الشديد والبرد الشديد».

وجاء في (دساتير) كثير من الأحكام الخاصة بحسن الخلق والزواج والعفة والوفاء بالوعد وتحريم الخمر وحلق شعر الوليد والتطهر والوضوء والتميم.

- قبل كل مقطع في (دساتير) يوجد ما يشبه الاستعاذة والبسملة في القرآن.

بالإضافة إلى تشابهات أخرى حول معرفة النبي الصادق عليه السلام، وطريقة الوحي إليه، وعلاقته بالملائكة.

وفيما يتعلق بالنار، فظاهر أنها ما كانت معبودة زمن زرادشت، وإنها إشعالها عند الزرادشتيين كان رمزاً لإعطاء العهد على الالتزام بتتبع النور الإلهي المتمثل في الشريعة الإلهية كما هو ظاهر من قول زرادشت في كتاب (جاثا ياشت)، ٣٠، ١ - ٢.

وقد جاء الحديث عن النار في أكثر من موضع في القرآن من هذا الوجه، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقول موسى عليه السلام: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾<sup>(٢)</sup>.

إنَّ القارئ للنصوص المقدسة للزرادشتية يرى أنها تتنبأ ببعثة نبي يصلح الأمر الذي أفسده الذين انحرفوا عن الدعوة الأولى، ومن هذه النبوءات:

\* ذكر (م. إ. لكاث علي) في مقاله: (نبوءة النبي الأخير)، أنه قد جاء ذكر نبي الإسلام ﷺ في كتب الزرادشتيين، في قولها أنه يظهر حكيم عظيم من بلاد رملية من الغرب وسيكون اسمه «أستفت إريتا» أو «سوشينت»، ومكة الصحراوية الرملية تقع غرب فارس!

وجاء في «بونداهش» ٣٠: ٦ - ٢٧ أن «سوشينت» هو خاتم النبيين.

(١) البقرة: ١٧.

(٢) طه: ٩ و ١٠.

وقد أثبت البحّثة عبد الحق فديارتي في كتابه (محمد في الأسفار العالمية المقدسة) ص ١٣٨ (الطبعة الثالثة المراجعة) أنّ كلمة «أستفت إريتا» تعني «أحمد». فقال أنّ كلمة «أستفت إريتا» جذرها هو «أستو» وهو يعني في كل من اللّغة السنسكريتية والزندية «حمد»، وبالتالي فمعنى الكلمة السابقة «أحمد».

ويبين في نفس الصفحة السابقة أنّ كلمة «سوشينت» هي اسم المفعول المستقبلي للفعل «سو» أو «ساف»، ويعني «محمّد».

\* جاء في «أتاش نيايش» ٩ أنّ النار ستخمد ولن تضرم عندما يأتي الزمان الذي سيقع فيه الإصلاح الكبير للعالم، حيث يعمّ الخير. ولا شك أنّ نار المجوس لم تخمد إلا مع فتح المسلمين لبلاد فارس.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال في مولد رسول الإسلام صلى الله عليه وآله:  
 «... وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة مولد النبي صلى الله عليه وآله ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك اللّيلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السهاوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام...»<sup>(١)</sup>.

قال البوصيري في البردة:

«والتّار خامدة الأنفاس من أسف عليه و التّهر ساهي العين من سدم  
 وحدث أنّ سكنت فجأة نار فارس التي كانت تعبدها وخمدت ألسنتها عن  
 الاشتعال، أسفاً على ما حلّ بالكفر بعد ولادته صلى الله عليه [وآله] وسلم، وجفّت  
 الينابيع حزناً على الكفر وأهله»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأمل، الشيخ الصدوق، ص ٣٦٠.

(٢) البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، ص ٩٠. و (البردة) أشهر قصائد البوصيري (المنسوب إلى بوسير في مصر). وهو محمد بن سعيد المتوفى في الإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ.

ولابدّ في هذا المقام من الإشارة إلى تمجيد هذا السفر المجوسي لإطفاء نار العبادة المجوسية!! فالدين الجديد، إذاً، يخالف واقع المجوسية في آخر أيامها.

وجاء في «بونداهش ٣٠: ٤ - ٢٧، ٣٢: ٨، باهمان ياشت ٣: ٦٢»، أن هذا الإصلاح سيكون مع ظهور خاتم النبيين «سوشيانت».

\* جاء في وصف أتباع محمد ﷺ في «زمايدشت» ٩٥: «سيأتي أتباعه، أصحاب أستفت إريتا، غير موسوسين، راقى الفكر، لبقين، محسنين، يتبعون الشريعة الصالحة، وما نطقت ألسنتهم كلمة غش». ومن عرف الخلّص من أصحاب نبي الإسلام ﷺ وأتباعه رضوان الله عليهم، من خلال سيرتهم، يعلم دقّة هذا الوصف في تصويرهم. ووصف هؤلاء الأتباع في «فارارشز» ياشت ١٣: ١٧ بأتمهم أهل إيمان وأتمهم سيصلحون العالم.

وسمّوا في ساروش ياشت ٤: ١٧ بأتمهم أتباع سوشينت.

\* يقدم لنا الباحث (محمد عبد الغفار الهاشمي) هذه البشارة من كتاب (زرادشت) باللغة الفارسية (عن كتاب د. محمود بن الشريف الأديان في القرآن ص ٢٧١ ط ٤): «وتمسكوا بما جئتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر من بادية العرب». ويعلّق قائلاً: «لا ريب أنّ هذه البشرى من زرادشت النبي الإيراني تدلّ على رجل يظهر في بادية العرب وهو محمد ﷺ، وهو المعروف بصاحب الجمل الأحمر: «الناقة القصواء»!!

\* ذكر الأستاذ هشام محمد طلبة في كتابه (محمد رسول الله ﷺ في الترجوم والتلمود والتوراة ..) ص ٤٢ - ٤٣: جاء في كتاب الزند أفستا مثل يصوّر حال الإمبراطورية الفارسية والديانة الزردشتية كفروع شجرة مكونة من معادن مختلفة (مثل نبوءة دانيال، الفصل ٢). الفرع الأول من ذهب يمثل العصر الذهبي وهو تحت حكم الملك كشتاسب، الفروع الفضية والفولاذية ترمز لهرم (انحدار) الإمبراطورية. أمّا الفرع الحديدي فيرمز للكارثة الكبيرة التي ستصيب الإمبراطورية الفارسية وديانتها وبقية

العالم، وانتصار الحق والفضيلة في آخر الزمان. أي أنّ الحق والفضيلة سينتصران على الإمبراطورية الفارسية ودينها.

### ثالثاً: الإتيان بالمعجزة

ومن أبرز المعاجز التي أتى بها الرسول ﷺ وأجلاها القرآن الكريم الذي كان ولا يزال يتحدى الجن والإنس من أن يأتوا ولو بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وفيما يأتي عرض لبعض جوانب الإعجاز في القرآن الكريم:

أ- الإعجاز البلاغي: ولما كانت البلاغة تعني إعطاء المعنى الكثير بالكلام القليل مع مراعاة اختيار الكلمات الجميلة في الأساليب العالية، فقد كان القرآن كذلك، حتى أن العرب على بلاغتهم وجموا من مجارة القرآن عندما تحداهم ولو بأن يأتوا بسورة منه، ولناخذ مثلاً واحداً هو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبالموازنة بين هذه الآية وما أثر عن العرب من قولهم: «القتل أنفى للقتل»، تتميز هذه الآية بأمور منها: أنه ليس في الآية ما في العبارة من تكرار، وألفاظ الآية تعكس روح الإسلام السلمية والعبارة تنضح بالدم، والآية تقرر الحياة في القصاص فهي تامة وواقعية أمّا العبارة فليست تامة لأنه ليس كل قتل نافياً للقتل إلا إذا كان قصاصاً كما أن العبارة لا تشمل كل حالات الاعتداء الجزئية.

ب- الإعجاز التشريعي: حيث تناول القرآن مختلف جوانب الحياة خلافاً لما كان عليه العرب خاصة والعالم عامة، من ذلك نظرة القرآن إلى المرأة والاعتراف بها كإنسان ومساواتها مع الرجل في أصل الخلقة وأمام القضاء وفي الجزاء عند القيام

(١) يونس: ٣٨.

(٢) البقرة: ١٧٩.

بالتكاليف الإلهية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿أَيُّ لَا أُضِيعَ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - الإعجاز التاريخي: انطوت السور القرآنية على كثير من أخبار القرون الأولى والأمم الغابرة والشرائع الدائرة منذ بدء الخليقة حتى بعثة النبي محمد عليه السلام، وهذه الأخبار من حيث الدقة والزمن السحيق مما لا يمكن التعرف عليها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

د - الإعجاز بالإخبار عن المغيبات المستقبلية: حيث أخبر عن وقوع الأحداث الخطيرة قبل أوانها وقد وقعت فعلاً كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد دخلوه.

كما أنّ هناك الإخبارات التي لم تقع ولا بد أن تقع منها الإشارة إلى وراثة الأرض من قبل المستضعفين بظهور الإمام المهدي عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

هـ - الإعجاز العلمي: حيث ورد العديد من الآيات ذات الإشارات إلى حقائق علمية لم تكن معروفة وقت نزول القرآن وإنما تم التعرف على العديد منها بعد التقدم

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) الأعراف: ١١.

(٤) القصص: ٤.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) القصص: ٥.

العلمي، من ذلك نظام الزوجية في الكون في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ومنها الإشارة إلى كروية الأرض في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ لو كانت الأرض منبسطة لكان لها مشرق واحد ومغرب واحد.

### القرآن الكريم: معجزة النبي ﷺ الخالدة

إنَّ التاريخ القاطع الثابت يشهد بأن رسول الاسلام ﷺ قرن دعوته بالإتيان بمعاجز عديدة مختلفة، إلا أنه ﷺ كان يؤكد من بين هذه المعاجز على واحدة منها، وهي في الحقيقة معجزته الخالدة، ألا وهي (القرآن الكريم).

فإن نبي الاسلام أعلن عن نبوته ورسالته بالإتيان بهذا الكتاب السماوي، وتحدى الناس به، ودعاهم إلى الاتيان بمثله إن استطاعوا، ولكن لم يستطع أحد رغم هذا التحدي القرآني القاطع أن يأتي بمثله في عصر النبوة.

واليوم وبعد مرور القرون العديدة لا يزال القرآن يتحدى الجميع ويقول: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر يقول وهو يقنع بأقل من ذلك: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

إننا نعلم أن أعداء الاسلام لم يألوا جهداً طيلة (١٥) قرناً من بدء ظهور الاسلام

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) المعارج: ٤٠.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) هود: ١٣.

(٥) البقرة: ٢٣.

من توجيه الضربات إليه، ولم يفوتوا عن محاولة إلحاق الضرر بهذا الدين، والكيد له بمختلف ألوان الكيد، وحتى أنهم استخدموا سلاح اتهام رسول الاسلام بالسحر، والجنون، وما شابه ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا قط مقابلة القرآن الكريم، ومعارضته فقد عجزوا عن الاتيان حتى بأية قصيرة مثل آياته.

والعالم اليوم مجهز كذلك بكل أنواع الأفكار والعلوم، ولكنه عاجز عن مجابهة هذا التحدي القرآني القاطع، وهذا هو دليل على أن القرآن الكريم فوق كلام البشر.

### الاعجاز الأدبي في القرآن

كانت لرسول الله ﷺ معاجز مختلفة ومتعددة دونت في كتب التاريخ والحديث، ولكن المعجزة الخالدة التي تتلأأ من بين تلك المعاجز في جميع العصور والدهور هو القرآن الكريم، والسر في اختصاص رسول الاسلام ﷺ، بمثل هذه المعجزة من بين جميع الانبياء، هو أن دينه دين خاتم، وشريعته شريعة خاتمة وخالدة، والدين الخالد والشريعة الخاتمة بحاجة إلى معجزة خالدة لتكون برهان الرسالة القاطع لكل عصر وجيل، ولتستطيع البشرية في جميع القرون والدهور أن ترجع إليه مباشرةً من دون حاجة إلى شهادات الآخرين وأقوالهم.

إن القرآن الكريم يتسم بصفة الاعجاز من عدة جهات، يحتاج البحث فيها مفصلاً إلى مجال واسع لا يناسب نطاق هذا البحث، ولكننا نشير إليها على نحو الإيجاز: في عصر نزول القرآن الكريم كان أول ما سحر عيون العرب، وحيّر أرباب البلاغة والفصاحة منهم جمال كلمات القرآن، وعجيب تركيبه، وتفوق بيانه، الذي يعبر عن ذلك كله بالفصاحة والبلاغة.

إن هذه الخصوصية كانت بارزةً ومشهودةً للعرب يومذاك بصورة كاملة، ومن هنا كان رسول الله ﷺ بتلاوة آيات الكتاب، مرةً بعد أخرى، وبدعوته المكررة إلى مقابلته

والإتيان بمثله إن استطاعوا يدفع عمالق اللغة والادب، وأبطال الشعر ورواده، إلى الخضوع أمام القرآن، والرضوخ لعظمة الاسلام، والاعتراف بكون الكلام القرآني فوق كلام البشر.

ذلك الأثر الذي يبقى منه في قلوب الناس وعقولهم وأذواقهم عند استماعه على تتابع القرون واختلاف الأجيال. فمن يقرأ القرآن أو يستمع إليه يعرف ذلك، ومن لا يقرّ بذلك يكذب على نفسه. نعم، إن من يقرأ القرآن ينشخ له قلبه، ويرضى منه عقله، فإذا نفسه تعارضه فإنّها لأمانة بالسوء، إنّه يناقض ضميره، ويعادي وجدانه، إنّه يظهر الرفض ويضمّر الاستجابة.

فها هو (الوليد بن المغيرة) أحد كبار الشعراء والبلغاء في قريش جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقال: أعد، فأعاد، فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، إن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وما يقول هذا بشر»<sup>(٢)</sup>.

وليس الوليد بن المغيرة هو الشخص الوحيد الذي يحنى رأسه إجلالاً لجمال القرآن الظاهري، ولجلاله المعنوي، بل ثمة بلغاء غيره من العرب مثل: (عتبة بن ربيعة) و(الطفيل بن عمرو) أبدوا كذلك عجزهم تجاه القرآن، واعترفوا بإعجاز القرآن الادبي.<sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أنّ صياغة الحروف ممّا يتاح لكلّ أحد حتّى الصغار والأطفال، فكيف بالأقوياء والكبار والأدباء والعلماء والكتّاب، ولكنهم لم يستطيعوا مع ذلك أن

(١) النحل: ٩٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١٢.

(٣) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، الشيخ السبحاني، ص ١٤٦.

يأتوا بمثله، ولن يستطيعوا أبداً.

ومن إعجازات القرآن الأدبية براعة ألفاظه، وعذوبة كلماته، وهو كلام لم يسمع مثله قبل أن يتلوه النبي إنه ليس بشعر؛ إذ لم يجر في الأوزان والقوافي والخيال على ما جرى عليه الشعر، ثم هو لم يشارك الشعر الذي ألفه العرب في قليل أو كثير من موضوعاته ومعانيه. ثم إن القرآن لا يسجع سجع الكهان في ألفاظه، ولا يلقي ما يلقونه من المعاني، كما لا يشبه خطب الخطباء، ولا كتابات الكتّاب، ولا قصائد الشعراء، وهو يتكلم مع الناس ويحدثهم بما ينفعهم ويضرهم ويرشدهم، ويقص عليهم أحسن القصص، ويهديهم سواء السبيل.

ولم يقتصر القرآن بالتحدي على عصر نزوله فحسب، بل نادى وطلب الإتيان بمثله في جميع القرون والأعصار، ولم يكن العرب الذين عاصروه وشاهدوا نزوله عاجزين عن أن يأتوا بمثل قليل مما جاء به القرآن، بل كل من جاء بعدهم من أديب وبلغ، ومن شاعر وكتاب من أعدائه من الزنادقة والكفار قد عجز عن أن يأتي بمثله أيضاً، ولسوف يعجزون وإلى الأبد.<sup>(١)</sup>

وروي أن ابن أبي العوجاء وأبا شاعر الديصانيّ وعبد الملك البصريّ وابن المقفع - وكلهم من الزنادقة - اجتمعوا عند بيت الله الحرام يستهزؤون بالحاجّ ويطعنون بالقرآن!

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا نقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضوع نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمّد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام.

فقال ابن أبي العوجاء: أمّا أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ

(١) انظر: محمد ﷺ في القرآن، السيّد رضا الصدر، صص ١٧٨ و ١٧٩، بتصرّف.

حَلَّصُوا نَجِيًّا... ﴿١﴾ فلم أقدر أن أضمَّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ﴿٢﴾ ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاعر: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهَ لَفَسَدَتَا﴾ ﴿٣﴾. لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم، إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤﴾ لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فبينما هم في ذلك إذ مرّ بهم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال: ﴿قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٥﴾. فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأينا قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرّقوا مقرّين بالعجز ﴿٦﴾.

ثم إنك تجد في هذه الآية أنباء قصاراً أشدَّ القصصر، موجزة أروع الإيجاز، قاطعة

(١) يوسف: ٨٠.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأنبياء: ٢٢.

(٤) هود: ٤٤.

(٥) الإسراء: ٨٨.

(٦) انظر: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ١٤٢.

لا معقّب لها، بني أكثرها لما لم يسمّ فاعله، وإنّ كلّاً منها لفي غاية الجمال والبراعة؛ لفخامة لفظها، وحسن نظمها، وتوجيه الأمر إلى الأرض والسماء وهما من الجهاد، فتكون أدلّ على قدرة لا نهاية لها، وعظمة من يأمر لا حدّ لها، والطوفان كان بأمر منه، فهي في غاية الإعجاز والإيجاز. وإنّ اختلاف الألفاظ في هذه الآية وحسن البيان في تصوير الحال رائعة من الروائع الأدبية.

ومن الوجوه الأخرى للإعجاز الأدبي في القرآن الكريم أنّه سهل ممتنع بسهولة ألفاظه وعضوبة تعبيراته، وبعدها عن الغرابة، وقد أتى بالإيجاز عند اقتضاء المقام، وما أكثر ذلك في القرآن. كما أنّه أطنب وفصل عند اقتضاء المقام، حتّى يزعم القارئ أنّ إتيان مثله يسير عليه مع أنّه ممتنع ومستحيل، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(١)</sup> وقد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل...» في كثير من الميزات والخصائص. وإنّ من له أدنى معرفة بالأدب يعرف مدى فضل التعبير القرآنيّ على هذا الكلام. إنّ جمال التعبير القرآنيّ وبراعته وعضوبة ألفاظه لا يقاس به كلام.<sup>(٢)</sup>

على أنّ العرب الجاهلين نظراً لتدنيّ مستوى ثقافتهم لم يدركوا من القرآن الكريم إلّا هذا الجانب، ولكن عندما أشرقت شمس الإسلام على ربع الكرة الأرضية، وعرفت به جماعات بشرية أخرى، اندفع المفكّرون إلى التدبّر في آيات هذا الكتاب العظيم، ووقفوا مضافاً إلى فصاحته وبلاغته، وجمال أسلوبه، وتعبيره، على جوانب أخرى من القرآن الكريم والتي يكون كلّ واحدة منها بصورة مستقلة، خير شاهد على انتباهه إلى العالم القدسي، ونشأته من المبدأ الأعلى للكون.

وهكذا تنكشف في كل عصر جوانب غير متناهية لهذا الكتاب العظيم.

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) محمد ﷺ في القرآن، ص ١٨٢، بصرف.

## المجالات الأخرى للإعجاز القرآني

لقد بينّا إعجاز القرآن من الناحية الأدبية باختصار، والآن نستعرض المجالات الأخرى للإعجاز القرآني بصورة مختصرة.

إذا كان الإعجاز القرآني من الناحية الأدبية قابلاً للدرك والفهم عند طائفة خاصة لها إلمام كاف بالأدب العربي، فإن الجوانب الأخرى من الإعجاز القرآني ولحسن الحظ مفهومة لآخرين.

أ - إن الآتي بالقرآن الكريم كان شخصاً أمياً لم يدرس، ولم يتلق تعليماً قبل النبوة، فلا هو دخل مدرسة أو كتاباً، ولا هو تعلم من أحد، أو قرأ كتاباً كما قال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبِطِّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن نبي الإسلام ﷺ تلا هذه الآية على قوم كانوا يعرفون حياته وتفصيلها، تمام المعرفة، فإذا كان له سابقة تحصيل وتعلم لكذبوا ادعاه هذا.

وأما اتهام البعض إياه بأنه ﴿يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾<sup>(٢)</sup> فهي تهمة لا أساس لها مثل سائر التهم الأخرى، كما يقول: ﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ب - لقد تلى رسول الله ﷺ القرآن الكريم على الناس طيلة ثلاث وعشرين سنة وفي ظروف مختلفة؛ كالصلح والحرب والسفر والحضر، وتقتضي طبيعة هذا النمط من التحدث والتكلم أن يقع في كلام المتكلم نوع من الاختلاف والتعددية في الأسلوب والخصوصيات البيانية فلطالما يقع المؤلفون الذين يؤلفون كتبهم في ظروف عادية متماثلة رغم مراعاة قواعد التأليف والكتابة، وأصولها في الاختلاف والاضطراب في الكلام، فكيف بالذي يلقي كلاماً بالتدرج، وفي أوضاع متباينة

(١) العنكبوت: ٤٨.

(٢) النحل: ١٠٣.

(٣) النحل: ١٠٣.

وأحوال مختلفة تتراوح بين الشدة والرخاء، والحزن والفرح، والقتال والسلام، والامن والخطر؟!

إن الملفت للنظر هو أن رسول الاسلام ﷺ تحدث حول موضوعات مختلفة ومتنوعة، بدءاً بالإلهيات ومروراً بالتاريخ، والتشريع، والاخلاق، والطبيعة، والانسان، وانتهاء بالحياة الاخرى، وفي نفس الوقت تمتع كلامه هذا من بدئه إلى ختمه بأعلى نوع من الانسجام، والتناغم، من حيث الاسلوب، والمحتوى.

يقول القرآن نفسه عن هذا الجانب من الاعجاز: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ج - إن القرآن الكريم جعل الفطرة الانسانية الثابتة نصب عينيه وشرع على اساسها قانونه، فكانت نتيجة هذه الرؤية الاساسية أن أخذ في نظر الاعتبار جميع أبعاد الروح والحياة الانسانية، وذكّر بالأصول والأسس الكلية التي لا تقبل الزوال والاندثار.

فمن خصائص القوانين الاسلامية الكلية هو أن هذه القوانين قابلة للتطبيق في جميع الظروف المختلفة والبيئات المتنوعة ويوم كان المسلمون يسيطرون على مساحة جد كبيرة من العالم، كانوا يديرون المجتمعات البشرية قروناً عديدة في ظل هذه القوانين والتشريعات بقوة، ونجاح.

يقول الامام محمد الباقر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه وجعل على من تعدى الحد حداً»<sup>(٢)</sup>.

د - إن تكرار قراءة القرآن وإعادة النظر فيه بدون كلل أو ملل - وأن ذلك يأتي دائماً

(١) النساء: ٨٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٧، ص ١٧٦.

بشيء جديد - فهو مثل المسك كلما كررته يتضوّع.

نعم، إن المواظب على قراءة القرآن يجده دائماً جديداً غضباً، كما أن المواظب على دراسة القرآن يستفيد منه - كلما أعاد النظر فيه - علماً جديداً، أو فكراً جديداً لم يكن يعرفه. تلك هي ميزة القرآن عن جميع ما كتب وقرئ من محاسن الكتب، وتأثير الخطب والشعر والأدب.

فعلوم القرآن ومعارفه لا تنتهي، وذلك من ميزات القرآن، فلقد صدر من مبدأ لامتناه من جميع الجهات.

### الإعجاز القرآني في مجال أسرار الكون وأخبار المستقبل

إن القرآن الكريم بين في آيات مختلفة، ومتعددة، وفي مناسبات متنوّعة، أسرار عالم الخلق، التي لم يكن لدى البشر أي علم، ولا إلمام بها. ولا شك أن الكشف عن هذه الاسرار لشخص لم يتلق تعليماً، ولم يدرس، وذلك في مجتمع جاهلي لا يعرف شيئاً أصلاً، لا يمكن إلا عن طريق الوحي. إن الكشف عن قانون الجاذبية الذي يفسر على أساسه قيام صرح الكون يعد من مفاخر العلم الحديث.

ولقد كشف القرآن الكريم القناع عن هذا القانون في عبارة قصيرة إذ قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

إن الكشف عن قانون الزوجية العامة هو الآخر يعد من مكتسبات العلم الحديث، وقد تحدث عنه القرآن الكريم في عصر لم يكن البشر يعرف عنه أي شيء مطلقاً إذ قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الرعد: ٢.

(٢) الذاريات: ٤٩.

هذا، وهناك نماذج أخرى في هذا المجال جاء ذكرها في كتب التفسير والعقيدة، أو دوائر المعارف.

هـ - إن القرآن الكريم أخبر عن طائفة من الحوادث والوقائع المستقبلية إخباراً قطعياً، وقد وقعت تلك الوقائع والحوادث فيما بعد بصورة دقيقة، ولهذا النمط من الإخبارات نماذج عديدة، وكثيرة إلا أننا نشير إلى واحدة منها هنا على سبيل المثال:

يوم غلب الساسانيون عباد النار على الروم الموحدين تفاعل المشركون العرب بهذا الحدث وقالوا سنتصر نحن على موحدي الجزيرة العربية (المسلمين) أيضاً، وعند ذلك أخبر القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم تمضِ بضعة سنوات إلا وتحققت النبوءة المذكورة، وانتصر كلا الفريقين المؤمنين (الروم المسيحيون ومسلمو الجزيرة العربية) على أعدائهم (الساسانيين ومشركي قريش).

ومن هنا، تحدّث القرآن عن سرور المؤمنين؛ إذ قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن كلا الانتصارين حدثا في وقت واحد.

و - إن القرآن الكريم تحدّث عن حياة الانبياء وأممهم السابقة في سور مختلفة بتعابير مختلفة.

إن هذه الوقائع جاء ذكرها أيضاً في العهدين (التوراة والانجيل)، ولكن إذا ما قيست تلك مع ما ورد في القرآن الكريم اتضح أن القرآن الكريم من الوحي الالهي برمته، وأن ما جاء في العهدين لم يسلم من تحريف المحرفين.

ففي رواية القرآن لقصص الانبياء لا يوجد أي موضوع يخالف العقل، والفطرة،

ولا يناسب مقام الانبياء، في حين تزخر الروايات والقصص الموجودة في كتاب العهدين بهذه العيوب والنواقص.

وفي هذا الصعيد يكفي إجراء مقارنة بين القرآن والعهدين في قصة آدم.

### معاجز أخرى للرسول ﷺ غير القرآن

لا تقتصر معاجز رسول الإسلام ﷺ على القرآن الكريم فقط؛ بل كان الرسول ﷺ يأتي ببعض المعجزات في مناسبات مختلفة، بهدف إقناع الناس، أو تثبيت قلوب المؤمنين.

والقرآن نفسه يثبت صدور معاجز متعدّدة على يد رسول الله ﷺ نشير إلى بعضها:

#### ١ - شق القمر

معجزة شقّ القمر هي من الشواهد الحسية على صدق الرسول الكريم ﷺ ولم تحدث لأي أحد من الأنبياء والمرسلين قبله ﷺ، وحدثت هذه المعجزة حينما اشترط المشركون أن إيمانهم برسول الله ودعوته موقوف على شق القمر إلى نصفين، قام النبي ﷺ بذلك بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾<sup>(١)</sup>.

في الآية الثانية شاهد واضح على أن المقصود من الآية ليس هو انشقاق القمر في يوم القيامة؛ بل يرتبط بعصر النبي الأكرم ﷺ.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في هذه المعجزة للنبي ﷺ: «اجتمع أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة، فقالوا للنبي ﷺ: ما من نبي إلا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال [النبي ﷺ]: ما الذي تريدون؟ فقالوا: إن يكن لك عند ربك

قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين. فهبط جبرئيل عليه السلام، وقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي ﷺ شكراً لله [، وسجد شيعتنا، ثم رفع النبي ﷺ رأسه ورفعوا رؤوسهم، ثم قالوا: يعود كما كان. فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه! فأمره فانشق، فسجد النبي ﷺ شكراً لله، وسجد شيعتنا، فقالوا: يا محمد، حين تقدم سفارنا من الشام واليمن نسألك ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا، علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا، علمنا أنه سحر سحرتنا به فأنزل الله: ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّمَاوَاتُ إِلَى الْأَرْضِ وَآلُهَا يَنبَغُونَ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - المعراج

إن قضية المعراج تُعدّ من القضايا المهمة في مجال المعجزات المستدل بها على نبوة النبي ﷺ حيث تناوها القرآن الكريم ووصفها بوصف دقيق مبيّن فيها ما رآه النبي ﷺ في هذا العروج الملكوتي ليرى في ليلة واحدة من آيات ربّه العظيمة، فوصف القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليه السلام البراق ورؤية الأنبياء والرسل عليهم السلام والمنزلة الخبيصة التي خصها الله تعالى للنبي ﷺ، وما جاء قبل هذه الرحلة من أحداث وإخبارات أخبر بها النبي ﷺ حينما أُسري به إلى المسجد الأقصى وما رآه من تفاصيل دقيقة أذهلت أهل مكة خصوصاً بعد التحري الذي أُجري من قبل أهل مكة أنفسهم عن صحة هذه الأوصاف التي جاءت على لسان الرسول ﷺ من خلال سؤال القوافل القادمة من أرض فلسطين التي كانت في تلك الليلة التي أُسري فيها، والتي لا يمكن إلا أن تكون دليلاً قاطعاً على صدق مدعاه ﷺ، وهو دليل أيضاً على أنّ قدرة الله أقوى وأسمى من أن تحول العوامل المادية والطبيعية دون تحقق معراج نبيه الكريم إلى العالم الأعلى ووقوعه.

قال تعالى في وصف أول هذه الرحلة المباركة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبرسي<sup>(٢)</sup>: «نزلت الآية في إسرائه ﷺ، وكان ذلك بمكة: صلى المغرب في المسجد ثم أسري به في ليلته، ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام، فأما الموضع الذي أسري إليه أين كان؟ قيل: كان الاسراء إلى بيت المقدس، وقد نطق به القرآن، ولا يدفعه مسلم، وما قاله: بعضهم: إن ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون فيه ولا برهان، وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج وعروج نبينا ﷺ إلى السماء، ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس، وابن مسعود وأنس، وجابر بن عبدالله، وحذيفة، وعائشة، وأم هانئ وغيرهم عن النبي ﷺ، وزاد بعضهم، ونقص بعض، وتنقسم جملتها إلى أربعة أوجه: أحدها: ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به وإحاطة العلم بصحته. وثانيها: ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول ولا تأباه الأصول، فنحن نجوزه، ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه. وثالثها: ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول، إلا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول، فالأولى أن نأوله على ما يطابق الحق والدليل. ورابعها: ما لا يصح ظاهره، ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد، فالأولى أن لا نقبله، فأما الأول المقطوع به فهو أنه أسرى به ﷺ على الجملة وأما الثاني فمنه ما روي عنه ﷺ أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك، وأما الثالث فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها، ورأى قوماً في النار يعذبون فيها، فيحمل على أنه رأى صفتهم وأسماءهم وأما الرابع فنحو ما روي أنه ﷺ كلم الله سبحانه جهرة، ورآه وقعد ومعه على سرير، ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه، والله سبحانه يتقدس عن

ذلك... قال أكثر المفسرين: أسري برسول الله ﷺ من دار أم هاني، أخت علي بن أبي طالب، وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها، وإن المراد بالمسجد الحرام هنا: مكة، ومكة والحرم كلها مسجد»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في وصف ما رآه النبي ﷺ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في هذه الآية: «فهذا من براهين نبينا التي آتاه الله إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم، وسائر الملل، خصه الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من: عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعون بفضله، وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أمهم، وسائر من مضى ومن غبر، أو تقدم أو تأخر»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى في بيان مقامات النبي ﷺ التي امتاز بها على جميع الأنبياء والمرسلين عليه السلام والآيات الكبرى التي رآها ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾<sup>(٤)</sup>.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بي إلى السماء دخلت

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٦، ص ٢١٨.

(٢) الزخرف: ٤٥.

(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) النجم: ٥ - ١٨.

الجنة فرأيت قصرًا من ياقوتة حمراء يرى داخلها من خارجها وخارجها من داخلها من ضيائها وفيها بيتان من در وزبرجد...»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «لما عرج برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به جبرئيل إلى مكان فخلى عنه، فقال له: يا جبرئيل تخليني على هذه الحالة؟ فقال: امضه فوالله لقد وطئت مكاناً ما وطئه بشر، وما مشى فيه بشر قبلك»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - مباهلته مع أهل الكتاب

لقد قام رسول الإسلام بهدف إثبات حقايقته، وصدق دعوته بدعوة طائفة من أهل الكتاب إلى (المباهلة) وقال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن المسلم أن المباهلة تنتهي بفناء أحد الفريقين المتباهلين، ولكن النبي مع ذلك أعلن عن استعداده لذلك، فكانت النتيجة أن أهل الكتاب لما شاهدوا قاطعية النبي، وثباته العجيب، وكيف أنه أتى بأعز أقربائه إلى ساحة «المباهلة» من غير خوف أو تهبب، انسحبوا، وقبلوا شرائط النبي صلى الله عليه وآله.

وأما ما ذكره المؤرخون والمحدثون المسلمون من معاجز أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيفوق ما جاء ذكره في القرآن الكريم، وهي وإن لم تكن في الاغلب متواترة إلا أنه يتمتع مجموعها بتواتر إجمالي<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ٢١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ السبحاني، صص ١٦٠ و ١٦١.

## وجوب الاعتقاد بنبوته ﷺ

يقول الشيخ الصدوق رحمته الله في عداد ما يجب الاعتقاد به من نبوة الأنبياء رحمهم الله: «وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق، وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه ذائقوا العذاب الأليم، وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى فيمن كذب النبي رحمته الله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ \* بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال فيمن أذى النبي رحمته الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ \* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال عز وجل فيمن آمن بالنبي رحمته الله وأتتهم هم المفلحون: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن أكمل من آمن بالنبي رحمته الله واتبعه حق الاتباع هم أهل بيته والأئمة المعصومون من بعده رحمهم الله، لأنهم أحب الخلق إلى الله تعالى وأكرمهم وأولهم اقراراً به لما أخذ من ميثاق النبيين وأنهم أولى بالنبي رحمته الله أخلاقاً وخلقاً وعلماً وهدياً وحازوا من الفضائل وكرم الشرائع ما لم يحزه غيرهم لقربهم من هدى النبي رحمته الله واتباعه اتباعاً كاملاً

(١) الهداية، الشيخ الصدوق، ص ٢٣.

(٢) الصافات: ٣٦-٣٨.

(٣) التوبة: ٦١-٦٣.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

لا يشوبه خلل ولا خطل فاخترهم الله خلفاء للنبي ﷺ وجعلهم أوصياءه وأولهم وأفضلهم هو خاتم الأوصياء أمير المؤمنين ﷺ.

قال في الهداية: «ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، وبعدهم الأنبياء ﷺ، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وسبقه إلى الإقرار به. ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لولاهم ما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن أبيه ﷺ قال: «سئل النبي ﷺ أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق في أبوان على سفاح قط، لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، هادياً مهدياً حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري، ورقابي إلى سئاته وشق لي اسماً من أسمائه، أمتي الحمادون، فذو العرش، محمود، وأنا محمد»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن العباس قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطاني الله تعالى خمساً، وأعطى علياً ﷺ خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً،

(١) الهداية، الشيخ الصدوق، صص ٢٣-٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧١، وروى في معاني الأخبار، ص ٢١ مثله.

وجعله وصياً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الألهام، وأسري بي إليه، وفتح له أبواب السماء والحجب حتى نظر إلي ونظرت إليه، قال: ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: ما يبكيك فذاك أبي وأمي؟ فقال: يا ابن عباس إن أول ما كلمني به أن قال: يا محمد انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إلي فكلمني وكلمته وكلمني ربي عز وجل فقلت: يا رسول الله بم كلمك ربك؟ قال: قال لي: يا محمد إني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه، فها هو يسمع كلامك فأعلمته، وأنا بين يدي ربي عز وجل، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تسلم عليه ففعلت، فرد عليهم السلام ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء، إلا هنتوني وقالوا لي: يا محمد والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عز وجل لك ابن عمك»<sup>(١)</sup>.

### عوامل أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام

هناك عوامل كثيرة جداً كانت وراء أفضلية النبي ﷺ على سائر من خلق الله تعالى من الموجودات الإمكانية، إذ لا يضاويه أحد في الفضل ولا في سابق منزلة قريبة من الله تعالى، فهو الفاتح وهو الخاتم. وعليه سنذكر ببعض هذه الأمور:

#### ١ - اجتماع الفضائل الأخلاقية فيه ﷺ

وقد اجتمعت في نبينا ﷺ جميع الفضائل الأخلاقية، حتى قال عنه تبارك وتعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أمالي الطوسي، ص ١٠٥.

(٢) القلم: ٤.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها»<sup>(١)</sup>.  
 عن الإمام علي عليه السلام في صفة النبي ﷺ: «اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصباح الظلمة، وينابيع الحكمة»<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - التفاضل بلحاظ منزلة النبي ﷺ وكثرة معاجزه

لا شك أن النبي ﷺ صاحب مقام: (أو أدنى)، أي: مقام الأحذية بحسب تعبير المتكلمين والعرفاء، وقد جاء تفصيل ذلك في سورة النجم بما ليس لأحد من الأنبياء عليهم السلام من هذه المنزلة القربية، سوى نبينا ﷺ، فعنه ﷺ في بيان فضله على إبراهيم الخليل عليه السلام: «إن كان إبراهيم خليله فأنا محمد حبيبه»<sup>(٣)</sup>.

وعنه ﷺ أنه قال: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني»<sup>(٤)</sup>.  
 وعنه ﷺ قال: «إني كنت أول من آمن بربي، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا بلى، فكنت أنا أول نبي قال: بلى فسبقتهم بالإقرار بالله»<sup>(٥)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ما برأ الله نسمةً خيراً من محمد ﷺ»<sup>(٦)</sup>.  
 وعنه عليه السلام أيضاً: «لقد رأيتني أدخل معه - يعني النبي ﷺ - الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمع»<sup>(٧)</sup>.  
 مضافاً إلى ذلك فإن النبي محمد ﷺ امتاز على بقية الأنبياء عليهم السلام بكثرة المعاجز على

(١) الأمالي، لشيخ الطوسي، ص ٥٩٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

(٣) الاحتجاج، ج ١، ص ٥٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٤١.

(٦) الكافي، ج ١، ص ٤٤٠.

(٧) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٨٨.

يديه الدالة على صدقه، فمنها ما يتعلق بالإخبار عن الغيب ومنها ما يتعلق بالفصاحة كما هما مجموعان في القرآن الكريم، ومنها ما يتعلق بالفضائل الأخلاقية الراقية التي يتحلّى بها النبي ﷺ.<sup>(١)</sup>

### ٣ - عالمية رسالته ﷺ

إنّ رسالة نبينا ﷺ كما أخبر المولى تبارك وتعالى كانت عالمية، فقال تعالى في رسوله الكريم ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا يدلّ بوضوح على كونه أفضل من سائر الأنبياء والرسل ﷺ وأن مهمته أعظم من مهمة جميع الأنبياء الذين أرسلوا إلى قوم بخصوصهم، كأنبيا بني إسرائيل ونحوهم.

### ٤ - اقتران اسمه وذكره ﷺ باسم وذكر الله تعالى على الدوام

ونبينا ﷺ قد اقترن اسمه وذكره مع الله تعالى، كما جاء ذلك في تشهد الأذان والإقامة: (أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله)، وفي تشهد كل صلاة واجبة كانت أم مندوبة: (أشهد أن لا إله إلا الله... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...)، وبدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup>، ممّا لم يكن هذا الأمر حاصلًا لأي نبي من الأنبياء والرسل ﷺ.

(١) راجع في هذا الفصل (الفصل الثالث من هذا الكتاب): اسم النبي ﷺ ونسبه، شخصية النبي ﷺ، القرائن

والشواهد الدالة على نبوته ﷺ.

(٢) الفتح: ٢٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) سبأ: ٢٨.

(٥) الشرح: ٤.

## ٥ - التفاضل بلحاظ التحدي برسالته ﷺ

ويكفي حصول التحدي برسالة النبي ﷺ ما جاء في القرآن الكريم وحده فقد حوى من المعاجز في جوانب ومجالات مختلفة ما يفوق حدّ العدّ والوصف، فلم يأت نبيّ أو رسول كما جاء به النبي محمد ﷺ من تعاليم وقوانين راقية وعلى درجة كاملة حواها القرآن الكريم، إذ كانت جميع سوره الكريمة صالحة للتحدي، حتى أصغرهما عدداً كسورة الكوثر، فتحدى الله تعالى الجميع بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> في حين نجد نبي الله موسى ﷺ قد ذكر تشريفه بتسع آيات بينات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد تناولنا في البحوث السابقة بعض المجالات الاعجازية للقرآن الكريم التي يصلح كل منها للتحدي واثبات الأفضلية.<sup>(٣)</sup>

## ٦ - التفاضل بلحاظ أفضلية الدين والعقيدة

ولا شك ولا ريب أن الدين الإسلامي أفضل الأديان وأكملها على الإطلاق فلا دين بعد الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٤)</sup>، وعدّ تعالى الذين تركوا الدين الإسلامي وأبدلوه بأديان وعقائد أخرى هم من الخاسرين ولن يقبل منهم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ذلك لأنّ الدين الإسلامي هو الدين الكامل والمتكامل والنعمة التامة التي رضيها الله تبارك وتعالى لجميع خلقه:

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) الإسراء: ١٠١.

(٣) انظر في هذا الفصل (الفصل الثالث): أدلة اثبات نبوته ﷺ، الايتان بالمعجزة، القرآن الكريم: معجزة النبي ﷺ الخالدة.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) المصدر نفسه، ٨٥.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه»<sup>(٢)</sup> وعنه عليه السلام أيضاً في صفة النبي صلى الله عليه وآله: «أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة، فمن يتبع غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته، وتنقص عروته، وتعظم كبوته، ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الويل»<sup>(٣)</sup>، وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال في دين الإسلام: «لا شرف أعلى من الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا مجال أفضلية دين الرسول صلى الله عليه وآله على جميع الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في هذا الشأن: «الإسلام يعلو ولا يعلى»<sup>(٦)</sup>، وعن الإمام علي عليه السلام مبيناً أن هذا الاصطفاء والاختيار للدين الإسلامي ليكون أفضل من جميع الأديان هو إنما تم من قبل الله تعالى واختاره لخيرة خلقه: «إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذل الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه»<sup>(٧)</sup>.

وعن الإمام الحسين عليه السلام أنه يقول في الآية الشريفة مبيناً السر الذي من ورائه تكون رفعة الدين الإسلامي وعزته أمام جميع الأديان وستكون الخاتمة لما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِزَّةِ هَذَا الدِّينِ وَأَهْلِهِ: «منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،

(١) المائة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ١٦١.

(٤) المصدر نفسه، الحكمة ٣٧١.

(٥) التوبة: ٣٣.

(٦) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٤٧.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

وأخبرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون»<sup>(١)</sup>.

### تاريخ دعوته ﷺ

في أوائل القرن السابع الميلادي (٦١٠) تصدّى النبي ﷺ للدعوة إلى الإسلام وأول ما بدأ به دعوة أقربائه وعشيرته، وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup> «صعد رسول الله ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك؟ قال: أرأيتمكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا؟! فنزلت سورة تبت يدا أبي لهب»<sup>(٣)</sup>، ومن خطبه ﷺ أنه قال: «أيها الناس إن الرائد لا يكذب أهله، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً خاصة، وإلى الناس عامة والله لتموتون كما تنامون، ولتبعثون كما تستيقظون، ولتحاسبون كما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها الجنة أبداً، والنار أبداً وإنكم أول من أنذرت»<sup>(٤)</sup>.

### سمات نبوته ﷺ

يمكن تقسيم سمات وعلامات نبوة النبي ﷺ إلى قسمين:  
الأول: ما جاء في القرآن الكريم.  
الثاني: أحواله وآثاره ﷺ في المجتمعات الإنسانية.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤.

## سمات نبوته ﷺ في القرآن الكريم

القرآن الكريم يعرف النبي محمد ﷺ بصفات وسمات عديدة، منها:

١ - أنه ﷺ رسول أرسل إلى العالمين جميعاً، من دون فرق بين قوم وآخرين، وإقليم دون إقليم، وجيل دون جيل؛ بل رسالته موجهة إلى كل الناس بلا استثناء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢ - أن رسالته خاتمة الرسالات وأن كتابه خاتم الكتب وأنه خاتم الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، وأن دعوته ﷺ دعوة مكملة للشرائع السابقة وليست مخالفة لها، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٣ - أنه ﷺ نبي قد بشر بنبوته في الكتب السماوية الماضية، قال جلّ وعلا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾<sup>(٦)</sup>، ويقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، كما قد بشر بنبوته ﷺ المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) الأنعام: ١٩.

(٤) الأحزاب: ٤٠.

(٥) البقرة: ٨٩.

(٦) سنين موضوع الخاتمية - إن شاء الله - في هذا الفصل (الفصل الثالث): خصائص نبوته ﷺ.

(٧) الأعراف: ١٥٧.

(٨) البقرة: ١٤٦.

أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾. (٢)

٤ - أن النبي ﷺ جاء بمعجزات وآيات، وأن معجزته الخالدة على مدى الدهر هي القرآن الكريم، ولا يمكن لأحد من الخلق مقابله ولا الإتيان بمثله، يقول جلّ وعلا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)، ويقول: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٤). (٥)

٥ - وأن كتابه كتاب فاصل بين الحق والباطل ومهيمن على الكتب السالفة، يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾ (٦)، وأن كتابه يفصل ما اختلف فيه بنو إسرائيل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧).

٦ - وأن أصوله واضحة كما في عقيدة التوحيد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٨)، كما يقول في تعاليمه وتكاليفه أنها يسيرة وليس فيها حرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٩)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (١٠).

٧ - أن شريعته كافلة للسعادة الدنيوية والأخروية، يقول سبحانه: ﴿يَأْمُرُهُمْ

(١) الصف: ٦.

(٢) تم التعرّض لبحث (بشائر الأنبياء السابقين وتصديقهم) في هذا الفصل (الفصل الثالث): أدلة اثبات نبوته ﷺ.

(٣) البقرة: ٢٣.

(٤) الإسراء: ٨٨.

(٥) راجع في هذا الفصل: أدلة اثبات نبوته ﷺ.

(٦) المائدة: ٤٨.

(٧) النمل: ٧٦.

(٨) الاخلاص: ١ - ٤.

(٩) الحج: ٧٨.

(١٠) البقرة: ١٨٥.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»<sup>(١)</sup>.  
 ٨ - أن دينه وتعاليمه تكافح الأساطير والخرافات وكل عقلية متخلفة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

سمات نبوته ﷺ في آثار دعوته

ومن آثار نبوته ﷺ بين الأمم البشرية:

أولاً: سرعة الانتشار في بلدان العالم لاسيما بين الأمم المتحضرة

لقد ملأ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، وانتشر انتشاراً كبيراً، فإن الأمة المؤمنة وإن غلبت أصحاب الحضارات وأزالت عروشهم، لكنها ما عفت على حضاراتهم العلمية والصناعية، بل حفظت الصالح منها، وقامت بتأسيس حضارة جديدة تشمل على الأصحح من السابقة وما أبدعته هي. وبذلك افرقت عن سائر الثورات البشرية التي كثيراً ما تنجر إلى تحريب البلدان وتدمير الحضارات. فأصبح التمدن الإسلامي، حضارة إنسانية مكتملة الأبعاد، بلغت في العظمة إلى حد شككت معه الأساس الذي بنيت عليه الحضارة الغربية الحديثة، بحيث لولا الحضارة الإسلامية لزالَت الحضارات السابقة عليها، ولما لحقها أي تمدن، لأنها صانت السالف من الحضارات عن الاندثار والضياع، وطورته وأبدعت فيه.<sup>(٣)</sup>

ثانياً: رقي الحضارة

إن الحضارة الإسلامية تمتلك معالم وخصائص عظيمة ميّزتها عن بقية الحضارات القديمة والحديثة على حدّ سواء، ومنها:

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٧.

(٣) انظر: الإلهيات، الشيخ السبحاني، ص ٢٩٤.

## ١ - الإيمان

الإسلام يمثل عقيدة تحدّد للإنسان موقفة من الوجود والكون والحياة والإنسان، بتاريخه وحاضره ومستقبله. وتنبثق من هذه العقيدة مفاهيم، تشكل أساساً عملياً واسع الأبعاد. وعلى أساس من العقيدة والمفاهيم الحياتية، تتخذ العواطف الإنسانية مساراً توجيهياً، يختلف اختلافاً حقيقياً عنها عندما لا تعيش في هذا الإطار.

وبعد كل هذه الأرضية المناسبة يأتي البناء الاجتماعي الإسلامي ليشمل تخطيط الإسلام لكل نواحي الحياة الإنسانية. وحينئذ؛ فالمسلم الواعي - حقاً - يتمتع بالعناصر التالية:

أولاً: فهم الحقيقية الإسلامية فهماً مطرد العمق.

ثانياً: الإيمان المنطقي بتلك الحقيقة.

ثالثاً: النفوذ الإيماني إلى العواطف، وصياغتها الصياغة التي تنسجم بها مع الأسس.

رابعاً: تفعيل المجال العملي، والشخصي والعام.

إنها العناصر التي يتميز بها المسلم الواعي، والتي يصعد الإنسان من خلال تأصلها في وجوده وحياته مدارج الكمال.

وعنصر الفهم: يشمل فهم الإسلام أسساً وبناءً نظرياً من جهة، وفي الإطار العملي التنفيذي من جهة أخرى.

والإيمان له درجات متفاوتة، ممّا يسوغ أن يؤمر الذين آمنوا بالإيمان، وتصعيد هذه الدرجة، أو توسيع المساحة الإيمانية، ويشمل الإيمان بالموقع المحدد من الكون، والمنطق الحياتي، والهدف السامي، ونوع السبيل إلى الهدف.

وأخيراً تصل المرحلة إلى عنصر العمل، الذي يأتي بشكل طبيعي بعد التحرك العاطفي، ذلك أنّ الإرادة الإنسانية هي حصيلة الشوق المؤكّد إلى حد كبير. والواقع إنّ انعدام العمل يشكل قرينة طبيعية على عدم فاعلية الأسس، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ

الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١﴾ (٢).

ومن الثمار الواضحة للإيمان ما قام به المسلمون من التضحية والتفاني في سبيله بالنفس والنفيس، وذلك في ظل تحقق شعور ديني عميق وإيمان قوي به وبشريعته، حتى قدموا كل دقيق وجميل مما يملكون في سبيل نصرته وإعزازه، وهذا لو دُلَّ على شيء لَدَلَّ على إيمانهم بفضائله وكمالته، وإيقانهم بأنه رجل إلهي سماوي، بعث لإنقاذ البشر، وأن اجتماعهم والتفافهم حوله لم يكن طلباً لشيء من الزخارف الدنيوية. وهذا وإن كان لا يصدق على جميع أصحابه وحواريه، لكنه صادق على الكثيرين ممن تربوا في أحضانه، واستنارت ألبابهم واستقامت فطرتهم في ظل تعاليم شريعته. (٣)

وسيرة الأئمة وأهل بيته عليه السلام حافلة بهذا التفاني والتضحيات العظيمة التي قدمونها لنيل رضا الله تبارك وتعالى فضحى أهل البيت عليه السلام بالغالي والنفيس لإعزاز دين الله وحفظه من أيدي التلاعب والتزوير، وخير شاهد ودليل على ذلك ما حدث في ثورة عاشوراء وما قام به الإمام الحسين عليه السلام وبنوه وأصحابه من نهضة جبارة أحييت معها الإسلام وتعاليمه الكريمة الخالصة حيث كان من ضمن أقواله عليه السلام العظيمة مبيناً سبب خروجه: «... وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...» (٤).

## ٢ - الحكمة

تتميّز التعاليم الإسلامية أتمها تسير وفق قانون وحكمة لا بالتهور والتسرع، فإن الله تعالى يأمرنا أن ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالعبارات الخشنة والأسلوب

(١) الماعون: ١ - ٣.

(٢) الإمام الخميني عليه السلام وحركة الصحوة الإسلامية، التسخيري، صص ٥ و ٦، بتصرف.

(٣) انظر: الالفيات، الشيخ السبحاني، ج ٣، صص ٢٢٧ و ٢٢٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

الجاف، وأن نجادل بالتي هي أحسن، يقول عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومدح الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ  
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وخاطب رسوله مبيناً علاقته مع مجتمعه: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا  
عَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلا مكان للعنف والخشونة في مجال تبليغ التعاليم الإسلامية، عن أبي عبد الله عليه السلام في  
حديث طويل جاء في آخره: «فلا تحرقوا بهم، أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف  
والعسف والجور، وأن إمارتنا بالرفق والتأليف والوقار والتقية وحسن الخلط والورع  
والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه»<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحاب المبدأ الحق أن يتبعوه في دعوتهم  
للمعاندنين، ومخاطبتهم للمخالفين، وحينها واجه موسى عليه السلام فرعون، أمره تعالى بأن  
يعرض عليه الدعوة في هذه الصورة الرقيقة بقوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَيَّ \* وَأَهْدِيكَ  
إِلَى رَبِّكَ فَتَكُنْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

### ٣ - احترام قيمة الذات الإنسانية وكرامتها

تعد الكرامة الإنسانية من الخصائص البارزة والأساسية عند الإنسان، وهو أمر تم  
التأكيد عليه في الثقافة الإسلامية بشكل كبير، ومن جملتها القيم التي تنظم السلوك

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، صص ٣٥٤ و ٣٥٥، ح ٣٥.

(٥) النازعات: ١٨ و ١٩.

والعلاقات الإنسانية بالشكل المطلوب.

إن الإنسان الذي يعترف بكرامة ذاته، يسعى دائماً إلى حفظها وصيانتها حتى وإن لم يكن يعتقد بالدين. ويتضح الدور الأساسي لقيمة الذات والكرامة في تنظيم السلوك، في حالة معرفة أدق لمفهوم الكرامة، فيعمل في التالي على إتمام أعماله وإنجازها بشكل أفضل وأكثر توفيقاً.<sup>(١)</sup>

### الكرامة في القرآن الكريم

استخدمت مادة «الكرامة» كثيراً في القرآن الكريم، ومنها في قوله تعالى في الآيات الأولى التي نزلت على النبي ﷺ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
ووصف القرآن الكريم الأنبياء بـ «الكرام» فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال في الملائكة: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، والكتب السماوية بقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾<sup>(٥)</sup>.  
واعتبر القرآن الكريم التقوى ملاك ومعيار الكرامة واعتبر أن منزلة الإنسان منوطة بتقواه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وأخيراً، تكريم بني آدم جميعاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>(٧)</sup>، ويُعلم من هنا أن الكرامة الإنسانية هي نعمة أعطاها الله تعالى للإنسان ولا يحق لأي أحد أن يسلب تلك الكرامة من أي أحد حتى من نفسه، وتتجلى هنا عظمة هذه النعمة والعطية الإلهية وأنها من الأمور المهمة والأساسية في الذات

(١) درآمدی بر روانشناسی تنظیم رفتار بارویکرد اسلامی، شجاعی، ص ٣٢٦، بالفارسية.

(٢) العلق: ٣ و ٤.

(٣) عبس: ١٦.

(٤) الانفطار: ١١.

(٥) عبس: ١٣.

(٦) الحجرات: ١٣.

(٧) الإسراء: ٧.

الإنسانية والتي تقوده إلى الأداء الأفضل للعبادات والأعمال بشكل عام، وبالتبع تقوي عنده الدافعية للإنجاز بشكل أفضل.

### منازل الكرامة الإنسانية ودرجاتها

بالتأمل في الآيات والروايات الشريفة نعرف أن كرامة الإنسان وقيمه لها درجتان أو مرتبتان؛ هما: الكرامة الذاتية والكرامة الاكتسابية.

والمقصود من الكرامة الذاتية هو أن الله تعالى خلق الإنسان بالشكل الذي إذا قارنّه مع المخلوقات الأخرى بلحاظ هيكلها الوجودي والقدرات والقابليات، نراه يتمتع بمزايا أكثر. في الواقع، إن الكرامة الذاتية تشير إلى قضية القيمة الذاتية من اللحاظ الجسماني والبدني التي تُقيّم بحسب القابليات الحيوية والفطرية الوجودية للإنسان. طبقاً لهذا التعريف، فإن الكرامة الذاتية ناظرة إلى الخصائص والقدرات التي توجد بشكل مشترك في جميع مستويات أبناء البشر من الطفل الصغير حتى الفيلسوف الكبير، حتى في الأولياء والأنبياء. وعلى أساس التعاليم الإسلامية، فإن جميعنا يمتلك نوعاً من الكرامة. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

طرحت الكرامة الإنسانية في هذه الآية بشكل عام على شكل قدرة وقابلية لدى الإنسان؛ حيث إنها يمكن أن تثمر من خلال شتى أنحاء النمو؛ الجسمي والمعرفي والعاطفي والمعنوي. ولا يحصل ذلك بدون سعي وجد واجتهاد؛ بل بالمثابرة والعمل الدؤوب في كل مرحلة من مراحل النمو وإلا فإن الإنسان سيصاب بأمراض كثيرة واختلالات كبيرة؛ كالطغيان والكفر والضلال والخسران، كما عبّرت عن ذلك المصادر الإسلامية.

إنّ هذه القابليات الأساسية المشتركة بين سائر الأفراد التي تشكّل أساس قيمة الموجود وكرامته الذاتية، تتبدّل في طيّ النمو إلى قيمة سلوكية وكرامة اكتسابية، ويدرك الأطفال في سنّ الثالثة والرابعة عادةً هذه القيمة السلوكية.<sup>(١)</sup>

#### ٤ - الحث على العمل ونبذ الجمود

مما لا شك فيه أنّ التعاليم الإسلامية قد أكّدت على العمل بشكل كبير، وعدّته الأساس الذي يُثاب عليه الإنسان المؤمن، وهو أمر له دور في تقوية دافعية الإنسان لإنجاز أعماله بأفضل صورة ممكنة وله دور مشهود أيضاً في تعاليم الإنسان وكسب كرامته في المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه.

ويمكن البحث عن العمل من جوانب متعددة كما جاءت به التعاليم الإسلامية المقدّسة. منها:

##### أ- أصالة العمل وأهميته

إذا أراد الإنسان أن يفعل من استعداداته الوجودية والانتقال من مرحلة (النفس الأمّارة) إلى (النفس المطمئنّة) فعليه أن يتخطّى مرحلة الفكر والأمل ليصل إلى مرحلة الإقدام والعمل.

أولت التعاليم الإسلامية «العمل» اهتماماً خاصّاً، بالشكل الذي عدّته جزء الإيمان<sup>(٢)</sup> وشعار المؤمن، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «العمل شعار المؤمن»<sup>(٣)</sup>، وصاحب الإنسان الدائم، جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: «المرء لا يصحبه إلا العمل»<sup>(٤)</sup>، ومحل الاعتماد،

(١) يراجع: درآمدی بر روانشناسی تنظیم رفتار با رویکرد اسلامی، شجاعی، ص ٣٢٨، بالفارسية.

(٢) انظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٦، ص ١٨، باب ٣٠: ان العمل جزء الإيمان، وأن الإيمان جزء الجوارح.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ح ٩٩٩.

عن الإمام علي عليه السلام: «العمل رفيق المؤمن»<sup>(١)</sup>، والشيء الذي بواسطته تعين خاتمة الإنسان وتُرفع درجته، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا ينال ما عند الله إلا بالعمل»<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام علي عليه السلام: «بالأعمال الصالحات ترفع الدرجات»<sup>(٣)</sup>.

في النصوص الإسلامية تعبيرات تقول بأن الإنسان ليس له إلا ما حازه وحصل عليه بعمله وكده، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(٤)</sup>. فالعمل يستطيع لعب دور تأمين السعادة والحظ العظيم أو الشقاء وعاقبة السوء للإنسان. وفي الحقيقة إن الإنسان رهين بما كسبت يده: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>. العمل وبمقدار محدد له دخل في تعيين مستقبل الإنسان، ونجد في بعض الآيات أن كل فرد يُعرف بالعمل الذي قام به، فوصف القرآن ابن نوح بأنه عمل غير صالح: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾<sup>(٦)</sup>، كما وصف أصحاب المراتب والدرجات طبقاً لدرجاتهم التي حصلوا عليها من خلال ما قاموا به من أعمال، فقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

### ب - العمل، مقياس لقيمة الإنسان

إن مقياس قيمة الإنسان وكرامته في نظر الإسلام هو العمل نفسه؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾<sup>(٨)</sup>، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٩٥٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٣٧٠، ح ٤٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٣٠١.

(٤) النجم: ٣٩.

(٥) المدثر: ٣٨.

(٦) هود: ٤٦.

(٧) آل عمران: ١٦٣.

(٨) الأنعام: ١٣٢.

(٩) الأنعام: ١٦٥.

وعن الإمام علي عليه السلام قوله: «المرء يوزن بقوله ويقوم بفعله، فقل ما يترجح زينته، وافعل ما تجلّ قيمته»<sup>(١)</sup>.

### ج - العمل، معيار للثواب والعقاب

لا يُعدّ العمل معياراً لقيمة الإنسان فحسب؛ بل يُعدّ أيضاً معياراً للثواب والعقاب الإلهي؛ حيث إن الله تعالى يُعطي الثواب على قدر العمل، فإن كانت أعمال العباد لا ثقة وصالحة، فجزاؤهم الجنة، وإن كانت قبيحة وغير صالحة، فستكون عاقبتهم العذاب الإلهي: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٢)</sup>.

تُحدّد هذه الآية الكريمة بشكل واضح أن العمل من معايير الثواب والعقاب الإلهي.

ومن المعايير الأخرى: الإيمان. وإن اعتبرنا العمل بمعناه العام بالشكل الذي يشتمل على الأعمال الجوارحية والجوانحية، ففي هذه الصورة نستطيع القول إن العمل هو المعيار الوحيد للثواب والعقاب الإلهي.

### د - العمل ونتائجه الدنيوية

من المسائل التي يجب طرحها في بحث «العمل» مسألة الجزاء وعواقب الاعمال في دار الدنيا، فالكثير من أعمال الإنسان وسلوكياته تتجلّى نتائجها في هذه الدنيا. قطعاً، إن هذه العواقب والنتائج التي هي ثمرة العمل ونظام رد الفعل (الأثر والمؤثر)، هي من أنواع الجزاء الإلهي؛ لكن الجزاء فهو غير كامل. أما الحساب الدقيق والجزاء

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٨٤٨.

(٢) النساء، ١٢٣ و ١٢٤.

الكامل فهو يكون في الآخرة. لا بأس بالإشارة إلى هذه الملاحظة، وهي أن «نتيجة العمل» لها مفهوم أوسع من «جزاء العمل»؛ ذلك لأن النتيجة هي الأثر الوضعي والعاقبة التي تترتب على العمل بشكل طبيعي. فمثلاً شرب الخمر، فإن له علاوة على الجزء الأخروي المترتب عليه والذي يُحتسب ذنباً، آثاراً سلبية على بدن ونفس شاربه. في الواقع، إن هذا هو نوع نتيجة؛ لكن في عين الحال، يمكن أن يكون لهذا العمل أيضاً، نوع جزاء وعواقب دنيوية، التي هي من حقيقة ومقولة أخرى.

يُستفاد من الآيات والروايات أن الأعمال المرتبطة بخلق الله سواء كانت صالحة وتخدم الناس أم قبيحة ومضرة لهم، فإنها في الغالب ثواب وعقاب في هذه الدنيا، بدون أن تقلل من الجزء الأخروي. عن الإمام علي عليه السلام: «لا يزهّدنك في المعروف من لا يشكر لك، فقد يشكرُك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضع الكافر والله يحب المحسنين»<sup>(١)</sup>.

هـ - العمل الصالح؛ هدف من خلقه الإنسان

أشارت الآيات والروايات في كثير من الموارد إلى صلاح العمل بعبارة ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أو ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾، ومن الآيات المهمة التي جاء فيها الحديث عن العمل الصالح: النساء: ١٠، الكهف: ٨٨، مريم: ٦٠، طه: ٨٢، الجاثية: ٣٠، الانشقاق: ٢٥.

وجاء في الروايات أيضاً التأكيد على العمل الصالح، كالأحاديث الشريفة: «بالأعمال الصالحات ترفع الدرجات»<sup>(٢)</sup>، «بركة العمر في حُسن العمل»<sup>(٣)</sup>، «العمل الصالح

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٤.

(٢) محاسبة النفس، الكفعمي، ص ٨٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، الأمدي، ح ٤٤٣٤.

أفضل الزادين»<sup>(١)</sup>، وغيرها كثير.

في منطق القرآن الكريم والروايات الواردة عن المعصومين عليه السلام جاء فيها الإيمان والعمل الصالح كتوأمين؛ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وغيرها كثير في القرآن الكريم.

إن أهمية «العمل الصالح» تنبثق من كونها الهدف الذي خلق الإنسان لأجله، يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٣)</sup>. وغيرها. إن هذه الآيات تعتبر هدف الخلقة هو اختبار الناس.<sup>(٤)</sup>

يتبين مما سبق بشكل واضح الدور المحوري للعمل في حياة الإنسان وعاقبته. وكمحصلة عامة نقول: إن الهدف من خلقة الإنسان وما كان له دور في نموه وتكامله المعنوي هو العمل الصالح (أحسن عملاً) كما يُعبّر عنه أيضاً في الثقافة الدينية بـ«العبادة».

### ثالثاً: الوقوف بوجه التحديات

إن الإسلام بمبادئه السامية وتعاليمه الواضحة وقوته الذاتية قادر على تلبية متطلبات الحياة المعاصرة ومواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية. ولم يكن الإسلام - ولن يكون - سبباً في تعطيل مسيرة التقدم في العالم الإسلامي على جميع المستويات. فالإسلام مؤهل بكل المقاييس لمواجهة تحديات العصر الحديث، ومؤهل للتعاون

(١) محاسبة النفس: ٨٥.

(٢) الملك: ٢.

(٣) الكهف: ٧.

(٤) درآمدى بر روانشناسى تنظيم رفتار بارويکرد اسلامى، شجاعى، صص ٥٣-٥٩.

باستمرار مع كل القوى المحبة للسلام والتقدم في العالم من أجل خير الإنسان وسعادته في كل زمان ومكان.

وينبغي التأكيد على أنّ التحديّات التي تواجه الحضارة الإسلامية ليست في حقيقة الأمر تحديات للإسلام كدين، وإنما هي تحديات لأفهام المسلمين، فإذا ارتقى مستوى هذه الأفهام إلى الحدّ المطلوب وأدركت مقتضيات العصر فستجد أن الإسلام أفضل عون للتغلب على كل التحديات، فالإسلام دين للحياة بكل ما للكلمة من معنى وهو صالح في جوهره لكل زمان ومكان ومنسجم مع طبيعة الإنسان.

أمّا إذا قصرت همّة المسلمين وأفهامهم عن استيعاب تطوّرات العصر ومتغيّرات الحياة فإنّها ستكون أيضاً قاصرة عن فهم طبيعة التعاليم الإسلامية، وغير مدركة لما تشتمل عليه من مرونة. وهذه الأفهام السقيمة هي التي تجمّد الإسلام وتريد أن تشدّه إلى تخلفها الفكري وتحجّرها العقلي وجمودها الديني. ومن ثمّ تكون أخطر على الإسلام من أيّ تحديّات خارجية.<sup>(١)</sup>

ويمكن أن تُقسّم التحديّات التي تمرّ بها الحضارة الإسلامية إلى تحديات داخلية وتحديات خارجية:

### التحديّات الداخلية

التغلب على التحديات الداخلية يعدّ المدخل الطبيعي للتغلب على التحديات الخارجية، والتحديات الداخلية مرتبطة بشكل وثيق بالتحديات الخارجية القادمة من الغرب، وجاءت على أساس من التخطيط الدقيق لإحباط الحضارة الإسلامية من الداخل. ومن أهم التحديات الداخلية:<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: مجلة ثقافتنا، العدد ٨، محمود زقزوق، ١٤٢٦ هـ ق.

(٢) المصدر نفسه، بتصرّف.

## ١ - التخلف

يُعدّ التخلف - الذي يسود المجتمعات الإسلامية - من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي. وهذا التخلف ليس تحلّفاً على المستوى المادي فحسب، وإنما هو تخلف شامل لشتى النواحي العلمية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فأغلب المسلمين اليوم - للأسف الشديد - ليسوا أكثر من مستهلكين لمنجزات الحضارة المعاصرة وليسوا منتجين لها أو مشاركين فيها.

ويحاول خصوم الإسلام نسبة التخلف في العالم الإسلامي إلى الإسلام، ويزعمون أنه هو الذي يشد أتباعه إلى الوراء دائماً ولا يتيح لهم حرية الحركة للانطلاق نحو آفاق التقدم. وهذا اتهام لا يستند إلى أي أساس لا من العلم ولا من الواقع التاريخي. فالإسلام هو الذي دفع المسلمين في السابق إلى بناء حضارة مزدهرة، وإذا كانت الحضارة لا تقوم إلا بالعلم فإن الإسلام قد جعل العلم فريضة لا تقبل شأناً عن غيرها من الفرائض، وجعل مداد العلماء مساوياً لدماء الشهداء، ووصف العلماء بأنهم أخشى الناس لله، لأنهم الذين يدركون أسرار الخلق وجلال الخالق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٢ - ظاهرة الإرهاب

تُعدّ ظاهرة الإرهاب من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي. وقد شهدت الأعوام الأخيرة على وجه الخصوص تطوّر هذه الظاهرة بشكل مخيف، إذ اتجه الإرهاب إلى القتل والتدمير للأبرياء دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ وشاب، وتعدى ذلك إلى التمثيل بالقتلى دون سبب مفهوم، وفي كثير من الأحيان تحت شعار إسلامي، وبصيحات الله أكبر!!

وعواقب هذا الإرهاب مدمرة لقدرات الشعوب الإسلامية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، كما تمثل عقبة كأداء أمام تنفيذ الخطط التنموية في البلاد الإسلامية، ولا شك في أن الإرهاب في العالم الإسلامي يلقي الدعم والتخطيط من رؤوس الإرهاب في الخارج وبخاصة في الدول الأوروبية التي وفّرت لهم على مدى عقود الملاذ وحرية الحركة تحت مظلة الحماية المزعومة لحقوق الإنسان.

والإسلام إذ يرفض العدوان رفضاً قاطعاً فإنه يعتبر قتل نفس واحدة كأنه قتل للإنسانية: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>، ويسمى القرآن ذلك بأنه إفساد في الأرض يعاقب مرتكبوه بأشد العقاب في الدنيا والآخرة: ﴿أَنْ يَفْتَلُوا أَوْ يَصَلُّوا أَوْ يَنْقُطَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا يغيب عن الأذهان أن الرحمة هي الهدف الأساسي للرسالة الإسلامية، كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### التحديات الخارجية

وإذا كانت الأمر كذلك وهو أن التحديات الداخلية مرتبطة بالتحديات الخارجية فإن علينا أن نبين أهم التحديات الخارجية وسبل التغلب عليها حتى يمكن الانطلاق إلى آفاق المستقبل بخطى ثابتة: <sup>(٤)</sup>

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ٣٣.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية، خالد القاسم، بتصرف.

## ١ - التحديّ الفكري

يسعى الغرب جاهداً وبها احداثه في حياة العرب والمسلمين من مناهج تربوية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية غايتها ابعادهم عن اسلامهم وربطهم بالنموذج الغربي في الفكر والسلوك. ولكن جوهر الاسلام بقى في كل هذه الحالات صامداً ينتظر لحظة البعث من جديد. وفي كل ذلك اشارة الى ان تحديات المستقبل التي تواجه الثقافة العربية الاسلامية هي في كثير من جوانبها امتداد لتحديات الماضي الكامنة في مواجهة الغرب على المستوى الخارجي والكامنة في الجمود والتخلف على المستوى الداخلي. ومن آفاق هذا التحديّ الثقافي:

## أ- تحديّ لغة القرآن

تواصل كيد المستعمرين على لغة القرآن فاجتهدوا منذ أواخر القرن التاسع عشر في السعي لإحلال العاميات محل الفصحى بدعوى ان العربية لغة قديمة جامدة لا تتسع لحركة العلم ولا تستجيب لدواعي حياة العصر، وبدأوا في اصدار الكتب باللغات العامية في الشام ومصر وتبعهم في ذلك بعض الكتاب العرب في لبنان وغيرها. وكان الموت نصيب هذه الحركة. وكانت اخطر المساعي في هذا المجال احلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في اللغات المكتوبة بالحرف العربي وتم لهم النجاح في كل الحالات ما عدا الاردية والفارسية والعربية.<sup>(١)</sup>

## ب- الاستشراق

حرص الغرب على إرسال بعض الأفراد (المستشرقين) ليدرسوا الثقافة الإسلامية دراسة وافية، ثم يقومون بإثارة الشبهات ضدها، ولكنهم وجدوا أن الأمة لا تثق فيما

(١) لتحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية، خالد القاسم، بتصرف.

يصدر عنهم ولا تتأثر به، إذاً كان لا بد أمامهم من استقطاب بعض الأفراد من أبناء الأمة، فهؤلاء لو تمَّ استقطابهم، فسيكونون بمثابة الثقوب، التي يدخل منها الأعداء إلى ثقافة الأمة، كما تدخل الحشرات إلى جسم الشجرة الوارفة، وتظل تسعى حتى تصل إلى النواة، فتفسد الشجرة كلها.

### ج- العولمة

ومنذ سنوات ظهر الحديث عما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وأصبح الحديث عن «العولمة»<sup>(١)</sup> أمراً مطروحاً. ولم يعد خافياً على أحد أن هناك تياراً جارفاً تقوده القوة الأعظم في العالم يتمثل في الترويج للقيم والمعايير التي تعتمدها الحضارة الغربية القائمة، وأن على الجميع في العالم أن يتواءم معها وأن يعتنق مبادئها ونظمها إذا أراد لنفسه مكاناً في مسيرة العالم المعاصر.

وهذا يعني أن تسود حضارة واحدة بقيمتها ومثلها، وأن يترسخ مفهوم العولمة أو القطب الواحد في الأذهان. وبذلك يختفي مفهوم التعددية الحضارية المتعارف عليه منذ فجر التاريخ. ومن ثم يصبح الخضوع لنظام العولمة أمراً لا مفر منه، ولا فكاك لأي دول في العالم أن تنضوي تحت لوائه، وإلا فإن الزمن والأحداث سوف تتجاوزها<sup>(٢)</sup>.

ويعدّ نظام العولمة - بالمفهوم المشار إليه - من التحديّات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في العصر الحاضر. فهل يمكن إخضاع الإسلام والمسلمين لهذا النظام، حيث تختفي الحواجز الحضارية والثقافية في العالم الجديد؟

(1) Globalization.

(٢) لاحظ: الإسلام في عصر العولمة، ٢٠٠١م.

إن حقائق الدين الإسلامي وطبيعته ووقائع التاريخ تبين أن الإسلام لا يمكن أن يذوب في أي نظام آخر فله ذاتيته المستقلة وكيانه الخاص. ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أي كيانات أخرى؛ لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام منذ أن قامت للإسلام دولة، وترسخت هذه التعددية في دستور المدينة الذي أعلنه نبي الإسلام ﷺ.

وقد كانت الحضارات في البلاد التي دخلها الإسلام روافد أثرت الحضارة الإسلامية. فالإسلام يعتبر الحضارات إنجازاً إنسانياً، وإضافات للتراث الإنساني الذي هو بطبيعته أخذ وعطاء. ولا توجد أمة عريقة في التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث. وإذا كان الأمر كذلك فإن هدف نظام العولمة يعد مناقضاً لطبيعة الأمور. فلا يمكن أن تذوب السمات الحضارية الأساسية للشعوب التي لها بصمات حضارية لا تمحى في سجل التاريخ.

والإسلام إذ يقر التعددية الدينية والحضارة فإنه من ناحية أخرى يقر في الوقت نفسه بأن هناك قواسم مشتركة بين كل الحضارات. وهذه القواسم المشتركة تعد المدخل الحقيقي للتعاون بين الحضارات وليس الصراع فيما بينها. ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم على أن الاختلافات بين الشعوب لا يجوز أن تكون عائقاً أمام التعارف والتآلف والتعاون بين الأمم والحضارات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك يتضح أن الإسلام سيقف صامداً أمام كل محاولة لتذويبه في أي حضارة أخرى أو في أي نظام عالمي جديد. ولكنه في الوقت نفسه سيظل دائماً على استعداد لأن يكون شريكاً لأي نظام عالمي يسعى إلى خير الإنسان وتقدمه وازدهاره.<sup>(٢)</sup>

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الإسلام في عصر العولمة (زقزوق).

## ٢- التحدي النفسي

خلق حالة الخوف من الإسلام

انتشرت في الإعلام الغربي فكرة الخوف من الإسلام أو ما يطلق عليه «إسلاموفوبيا» ولم يستطع كبار المسؤولين في الغرب أن يخفوا هذا التصور، فورد ذلك على لسان الأمين العام السابق لحلف الأطلسي، وكان ما يزال في منصبه المهم، كما ورد على لسان أحد الرؤساء في الغرب.

وبدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامي، والخطر الذي يتهدد الحضارة الغربية من هذا الشر- المدمر والذي هو الإسلام في زعمهم. واختلطت الأوراق وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامي الغربي في هذا التيار الجارف. وقد ساعد على شيوع هذا التصور تزايد موجات العنف في بعض البلاد الإسلامية. ومن المفارقات الغربية أن الغرب نفسه هو الذي وفر الملجأ والملاذ والدعم وحرية الحركة لرؤوس الإرهاب في العالم الإسلامي - كما سبق ذكره -. وهذا التوجه الغربي يعني عدم السماح بتطوير قدرات العالم الإسلامي العسكرية، بل وحتى الاقتصادية والعلمية رغم ما يغدقه الغرب من إمكانات هائلة على إسرائيل التي زرعتها شوكة في جسد الأمة الإسلامية لتعيق أي طموحات في تطوير قدراتها، وتنمية بلادها.

الخوف من صدام الحضارات

ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام الترويج في الغرب لنظرية صدام الحضارات، وأن هذا الصدام أمر حتمي. وطبيعية الحال يوضع في الحسبان في هذا التفكير - بالدرجة الأولى - الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. ويستعيد البعض ذكريات الماضي القريب والبعيد لهذا الصدام.

والهدف في النهاية هو ضرورة هزيمة الحضارة الإسلامية حتى تتمكن حضارة

واحدة هي الحضارة الغربية بأن تكون لها اليد الطولى والسيطرة على العالم كله، وتتأكد بصورة قاطعة فكرة العولمة.

وحقيقة الأمر أنه إذا كان البعض يتبنى في الغرب نظرية حتمية صدام الحضارات فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمراً حتمياً لا مفر منه، لأن الصدام القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات. فهناك أيضاً صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة، وما أكثر مثل هذه الصراعات في عالمنا الذي نعيش فيه. وأوضح مثال على ذلك ما حدث في القرن العشرين من حربين عالميتين داخل الحضارة الغربية راح ضحيتها أكثر من ستين مليوناً من البشر، الأمر الذي لا نظير له في التاريخ.

ولكن موقف الإسلام المبدئي الثابت يتخلص في أن تعددية الأجناس في المجتمعات البشرية - أو بمعنى آخر تعددية الحضارات واختلافها - لا يجوز أن تكون مدخلاً للصراع والشقاق، وأن تمثل عائقاً أمام توحيد جهود الناس وتآلفهم فيما بينهم. فالتعددية ينبغي أن تفتح الطريق أمام التعارف والتعاون والتوحد. وهنا تكمن المهمة الإنسانية التي ينبغي على الإنسان حينما كان موقعه أو معتقده أن يتحمل مسؤوليتها. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(١)</sup>.

وهنا جعل القرآن الاختلافات بين البشر مدخلاً للتعارف والتآلف والتعاون لا مقدمة للنزاع والشقاق والصراع. فنظرية الصراع الحتمي للحضارات مرفوضة أساساً من الإسلام الذي يقرر أن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة، وأن العدوان على نفس واحدة يعد عدواناً على البشرية كلها وليس على طائفة معينة أو حضارة بعينها. ومن هنا فإن التصور الإسلامي أوسع دائرة وأرحب أفقاً وأعمق في إنسانيته من تلك التصورات العنصرية التي تسعى إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات والثقافات.

## آثار التحديّات التي تواجه الحضارة الإسلامية

ومن التحديّات التي تواجه الحضارة الإسلامية والتي هي في الحقيقة عبارة عن ردود فعل من قبل أعداء الإسلام جرّاء قام به من نجاح وازدهار في شتّى جوانب الحياة الإنسانية المختلفة والتي تدلّ على أنّ الإسلام بدا كسمة واضحة على جبين العالم اليوم فهو دين إلى يوم القيامة:

١ - العمل على تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة الشريفة وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

٢ - تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية والدعوة إلى القوميات المتنوعة، وقد كانت الرابطة التي تجمع الشعوب الإسلامية هي الرابطة الإسلامية، فشجع الغرب الصليبي الشعوب المختلفة على المناادة بالقوميات التي تنتسب إليها الأمم المختلفة، فنادى العرب بالقومية العربية، والأتراك بالتركية الطورانية، ونادى الأكراد بالكردية، وبذلك تفسخت عرى الرابطة الواحدة التي كانت تجمع هذه الأمة وتوحدّها.

إن الرابطة الحقيقية بين المسلمين هي رابطة العقيدة وجميع الروابط الأخرى هي فرع منها مثل رابط الجوار والقراة والقبيلة والوطن.

٣ - الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه في كثير من بلاد الإسلام وانتشار البدع والخرافات والمذاهب الباطلة كالقاديانية والبهائية وانتشار الأفكار العلمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

٤ - الهزيمة النفسية لدى بعض المسلمين واهتزاز الثوابت عندهم ونشوء طبقة من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافته.

٥ - العمل على نشر اللهجات المحليّة وإضعاف اللغة العربية التي اختارها الله

لكتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

٦ - إقصاء شريعة الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية، وهذا الأمر بذل الكفار في سبيل تحقيقه كثيراً من الجهد والمال والفكر، وأفنعوا به الكثير من حكام الديار الإسلامية.

٧ - إفساد التعليم وإضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط<sup>(٢)</sup>.

٨ - إفساد المرأة؛ لأنّ فسادها يفسد الأبناء والأزواج، فأخرجوها من بيتها، وهتكوا حجابها، وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب، وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا<sup>(٣)</sup>.

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والانسحاق معهم فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

### رسالته ﷺ؛ الرسالة الإسلامية

الرسالة الإسلامية المتكاملة التي جاء بها النبي ﷺ وعمل أهل بيته الطاهرون عليه السلام على الدفاع عنها وحفظها نقية من كيد الأعداء، تمتلك عدّة معالم ميّزتها عن بقية الأديان وجعلتها تنتشر في العالم اليوم وتحظى بقبول متزايد من قبل المفكرين وفي شتى التخصصات والميادين العلمية والثقافية، ومن أبرز تلك المعالم:

١ - أنّ هذه الرسالة ظلّت سليمة ضمن النص القرآني دون أن تتعرّض لأيّ

(١) يوسف: ٢.

(٢) انظر: غزو في الصميم، الميداني، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، صص: ٦٢ و ٦٣؛ شبهات التغريب، ص: ٦٣.

(٤) آل عمران: ١٠٠.

تحريف، بينما مُنيت الكتب السماوية السابقة بالتحريف وأفرغت الكثير من محتواها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

واحتفاظ الرسالة بمحتواها العقائدي والتشريعي، هو الذي يمكنها من مواصلة دورها التربوي وكل رسالة تفرغ من محتواها بالتحريف والضياع لا تصلح أن تكون أداة لربط الإنسان بربه، لأن هذا الربط لا يتحقق بمجرد الانتماء الإسمي بل بالتفاعل مع محتوى الرسالة وتجسيدها فكراً وسلوكاً.

٢ - أن النبي محمد ﷺ الذي جاء بهذه الرسالة، تميّز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه بتقديم رسالته بوصفها أطروحة ربّانية، وبهذا أعلن أن نبوته هي النبوة الخاتمة، وفكرة النبوة الخاتمة لها مدلولان: أحدهما سلبي وهو المدلول الذي ينفي ظهور نبوة أخرى على المسرح، والآخر إيجابي وهو المدلول الذي يؤكّد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها مع العصور.

إنّ عدم ظهور نبوة أخرى على مسرح التاريخ ليس لأنّ النبوة تخلّت عن دورها كأساس من أسس الحضارة الإنسانية، بل لأنّ النبوة الخاتمة جاءت بالرسالة الوراثية لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات والمشتملة على كل ما في تلك النبوات والرسالات من قيم ثابتة دون ما لابسها من قيم مرحلية وبهذا كانت هي الرسالة المهيمنة القادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من عوامل التطور والتجديد، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. ويقول النبي ﷺ عن نفسه: «لا نبي

(١) الحجر: ٩.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

بعدي<sup>(١)</sup>، كما ورد عن الإمام الصادق  أنه قال: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقد اقتضت الحكمة الربانية التي ختمت النبوة بمحمد  أن تعد له أوصياء يقومون بأعباء الإمامة والخلافة بعد اختتام النبوة، وهم اثنا عشر إماماً، قد جاء النص على عددهم من قبل رسول الله  في أحاديث صحيحة، اتفق المسلمون على روايتها: «أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم الجواد محمد بن علي، ثم الهادي علي بن محمد، ثم العسكري الحسن بن علي، ثم الحجة بن الحسن بن علي »<sup>(٣)</sup>، لذا، فإن هذه الرسالة جاءت شاملة لكل جوانب الحياة وبقيت حيّة طريّة لا تشوبها شائبة ما دامت التعاليم الإسلامية مستسقة من المصادر المقررة في الإسلام من الثقلين اللذين عليهما المدار والاعتماد وهما القرآن الكريم والأئمة من أهل البيت  الأوصياء المنصّبون من قبل الله تعالى ليخلفوا للنبي  واحداً تلو الآخر ليكملوا مسيرة الهداية التي بدأها النبي  من إرشاد الأمة الإسلامية وحلّ اختلافاتها وكشف حيل الأعداء وزيفهم وإن لم تعرف الأمة لهؤلاء الأئمة  تمام فضلهم وحقوقهم على العباد، وعلى هذا الأساس استطاعت الرسالة الإسلامية أن توازن بين الجوانب المختلفة من مجالات الحياة وتوحد أسسها في إطار صيغة كاملة وشاملة وطبقاً للحكمة والعدالة، ولم يعد الإنسان يعيش حالة الانشطار بين حياته الروحية وحياته الدنيوية، ومن هذه المجالات التي أولاها الاسلام عناية كبيرة كما في المجالات الأخرى: الاقتصاد الإسلامي.

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٧.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٦٨.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٧٣٩.

## شمولية الإسلام وجامعيته: الاقتصاد الإسلامي نموذجاً

الرسالة الإسلامية التي جاء بها نبي الإسلام الكريم ﷺ هي خاتمة الرسالات وأتمّها قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>، والإسلام يمثل عقيدة تحدّد للإنسان موقفة من الوجود والكون والحياة والإنسان، بتاريخه وحاضره ومستقبله. وتنبثق من هذه العقيدة مفاهيم، تشكل أساساً عملياً واسع الأبعاد. وعلى أساس من العقيدة والمفاهيم الحياتية، تتخذ العواطف الإنسانية مساراً توجيهياً، يختلف اختلافاً حقيقياً عنها عندما لا تعيش في هذا الإطار. وبعد كل هذه الأراضية المناسبة يأتي البناء الاجتماعي الإسلامي ليشمل تخطيط الإسلام لكل نواحي الحياة الإنسانية. وحيثئذ؛ فالمسلم الواعي - حقاً - يتمتع بالعناصر التالية:

أولاً: فهم الحقيقية الإسلامية فهماً مطرد العمق.

ثانياً: الإيمان المنطقي بتلك الحقيقة.

ثالثاً: النفوذ الإياني إلى العواطف، وصياغتها الصياغة التي تنسجم بها مع الأسس.

رابعاً: تفعيل المجال العملي، والشخصي والعام.

إنها العناصر التي يميّز بها المسلم الواعي، والتي يصعد الإنسان من خلال تأصلها في وجوده وحياته مدارج الكمال.

وعنصر الفهم: يشمل فهم الإسلام أساساً وبناءً نظرياً من جهة، وفي الإطار العملي التنفيذي من جهة أخرى.

أما عنصر الإيمان: فهو بدوره متفاوت الدرجة، مما يسوغ أن يؤمر الذين آمنوا بالإيمان، وتصعيد هذه الدرجة، أو توسيع المساحة الإيانية، ويشمل الإيمان بالموقع المحدد من الكون، والمنطق الحياتي، والهدف السامي، ونوع السبيل إلى الهدف.

وأخيراً تصل المرحلة إلى عنصر العمل، الذي يأتي بشكل طبيعي بعد التحرك العاطفي، ذلك إن الإرادة الإنسانية هي حصيلة الشوق المؤكد إلى حد كبير. والواقع إن انعدام العمل يشكل قرينة طبيعية على عدم فاعلية الأسس، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

ومن الأمثلة على شمولية وجامعية الرسالة المحمدية ﷺ ما قدمته وستقدمه من قوانين ناجعة وكفيلة بحل مختلف المشكلات والصعاب التي تعترض طريق البشرية وتعيق من حركتها، ونأخذ (الاقتصاد الإسلامي) نموذجاً على ذلك، حيث إن البشرية عاشت وتعيش اليوم مشكلة اقتصادية متفاقمة أدت إلى شلّ مرافق الحياة المختلفة وتأزيم الوضع الاقتصادي بين أوساط المجتمع.

### المشكلة الاقتصادية

وتنبع المشكلة من أن للإنسان حاجات متعددة يسعى لإشباعها، مقابل موارد توصف بالندرة النسبية، وإن هذه الحاجات متجددة باستمرار، حيث يعمل الإنسان على إشباعها بشكل منتظم. وعُرفت المشكلة الاقتصادية بعدم إمكانية الموارد الاقتصادية المحدودة من تلبية كافة الاحتياجات المتزايدة باطراد وفق قانون تزايد الحاجات.<sup>(٣)</sup>

### الانقسام الطبقي والحلول المقترحة

لقد عمل التقدم الصناعي وتنامي البنوك، ونظم الإنتاج الحديثة، واستعمار البلدان الضعيفة، وفتح الأسواق العالمية، وارتقاء مستوى المعيشة، على رفع مستوى الطبقات الراقية إلى درجة أعادت إلى الأذهان صور الحياة الخاصة التي كان يعيشها الملوك في

(١) الماعون: ١ - ٣.

(٢) الإمام الخميني رحمته الله وحركة الصحوة الإسلامية، التسخيري، صص ٥ و ٦، بتصرف.

(٣) انظر: المعجم الموسع للاقتصاد، حسن توانايان فرد، ص ٣٤٨.

السابق؛ فيما أخذ الفقر من جهة أخرى يتفاقم حتى بلغ حداً لم يكن معهوداً في الحياة البسيطة التي كان يعيشها الفقراء السابقون.

كما أدى من جانب آخر انعدام متطلبات الحياة وتدني مستوى العيش وتفشي الفقر والمرض بين الطبقات الفقيرة إلى حرمانها من نتائج التقدم العلمي. ومن الحلول المقترحة لعلاج الانقسام الطبقي:

### ١ - الحل الرأسمالي: الحد الأدنى للمعيشة

يرتكز المذهب الرأسمالي على أركان رئيسة ثلاثة يتألف منها كيانه الذي يميّزه عن الكيانات الاقتصادية الأخرى، وهي: <sup>(١)</sup>

١ - الأخذ بمبدأ الملكية الخاصة بشكل غير محدود.

٢ - فسح المجال أمام كل فرد لاستغلال ملكيته وإمكانياته على الوجه الذي يروق له.

٣ - ضمان حرّية الاستهلاك، كما تضمن حرية الاستغلال.

إنّ هذا المذهب يقوم على أساس توفير مصالح الفرد، وتأمين مصلحة الأفراد هو ضمان للمجتمع وحمائته بصورة طبيعية، فالمجتمع ليس إلا الفكرة العامة عن الأفراد، ويتموين مصالح الأفراد، تتحقق مصلحة المجتمع. <sup>(٢)</sup>

إذن، الرأسمالية تذهب إلى الملكية الفردية المطلقة وكقاعدة عامة، مهملة للجانب الاجتماعي بشكل واضح.

### ٢ - الحل الاشتراكي للمشكلة: تأميم وسائل الإنتاج

تقوم فكرة الاشتراكية على أساس إلغاء الملكية الخاصة للفرد وتنظيم الإنتاج

(١) انظر: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، ص ٢٤٥.

(٢) الاقتصاد، السيد حسن الشيرازي، ص ٣٣. بتصرّف.

والتوزيع بواسطة المجموع وتحقيق نوع من المساواة الفعلية. فليس لأحد في هذا النظام حق امتلاك أي شيء إلا الأجور التي يتقاضاها من الدولة إزاء الجهود أو الخدمات التي يقوم بها، وله الحق في التقدير على نفسه، ليدخر الزائد عن استهلاكاته، فإذا تجمّعت لديه ثروة كان له أن يشتري بها منزلاً أو بعض الأدوات المنزلية البسيطة.<sup>(١)</sup>

وطبقاً لهذا، فإن الاشتراكية خلافاً للرأسمالية تذهب إلى الملكية العامة وتهمل الملكية الفردية وتضرّ بها إضراراً كبيراً.

### التفاوت الطبقي في شكله الجديد

من الواضح أنّ العوامل المادية التي ساهمت في ظهور الطبقات المختلفة، باقية في ظل هذا النظام رغم كلّ اختلافاتها، ولا يمكن زوالها. ومع بقاء العلة كيف يمكن أن نترقب زوال المعلول وحل المشكلة التي نعاني منها، حتى وإن ارتفع أحد عوامل التفاوت المهمة، أي: تأمين وسائل الإنتاج؛ خاصة وأنّ العامل الوراثي يحافظ - بواسطة جذوره القوية - على الاختلافات الجسمية والفكرية والفنية والأخلاقية للفرد.

### ٣ - الحل الإسلامي: الحرّية المشروطة وعدالة التوزيع

تكتسب الشؤون الاقتصادية، وقضايا المال ونظام المعيشة، أهمية خاصة في الفكر والثقافة الإسلامية، لأهميتها في حياة الإنسان واستقرار المجتمع وتطور المجالات الحياتية الأخرى، لذا حددت الرسالة الإسلامية أسس المذهب الاقتصادي في الإسلام، وثبّتت معالمه وأخلاقياته من خلال القوانين والأحكام، والمفاهيم والأخلاق المتعلقة بالعمل والإنتاج والإنفاق والاستهلاك، والتعامل مع المال والثروة.

(١) الاقتصاد، السيد حسن الشيرازي، ص ١٨٠.

## الهيكـل العام للاقتصاد الإسلامي

يقوم الاقتصاد الإسلامي على عدة مبادئ تُقوِّم كيانه وتُميِّزه عن بقية المذاهب الاقتصادية الأخرى، وهذه المبادئ هي:

### ١ - مبدأ الملكية المزوجة

للإسلام رأي آخر حول مكانة الفرد، يختلف عن فكرة الرأسمالية ومنطق الاشتراكية، حيث يعتبر الفرد موجوداً إذا اعتبارين في آن واحد؛ وهما:

- ١ - صفة الفرد ككيان مستقل ذو مؤهلات معينة، وله أن يلبي حاجاته الفردية.
- ٢ - صفة الفرد كعضو في المجتمع، يستجيب لعلاقاته الاجتماعية باعتباره فرداً من أفرادها ولبنة من لبناته.

فالفرد في نظر الإسلام له كيان خاص، ومؤهلات خاصة به من جهة، وهو عضو من أعضاء المجتمع ومعني بالعلاقات داخل هذا الصرح الكبير، فهو يلبي حاجاته الفردية حيناً، ويستجيب لعلاقاته الاجتماعية حيناً آخر من جهة أخرى، فلا بد أن يكون للفرد كيان، وللمجتمع كيان، لا يصطدم أحدهما بالآخر.

إذاً، إن الاقتصاد الإسلامي يوفِّق ويوازن بين المصلحتين الخاصة والعامة، حيث يجعل لكل منهما دوراً خاصاً دون أن يتعارضاً.

### ٢ - مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود

إنَّ هذا المبدأ ينتشط من خلال السماح للأفراد بممارسة فعاليتهم الاقتصادية بحرية محدودة بالقيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام مما يجعل من هذه الحرية أداة خير للإنسانية كلّها.

والتحديد الإسلامي للحرية الاجتماعية في الحقل الاقتصادي يكون على

قسمين<sup>(١)</sup>:

- ١ - التحديد الذاتي الذي يتكون طبيعياً في ظل التربية الخاصة التي ينشئ الإسلام عليها الفرد في المجتمع الذي يتحكّم الإسلام في كلّ مرافق حياته.
- ٢ - التحديد الموضوعي في ظل قوّة خارجية تحدّد السلوك الاجتماعي وتضبطه، وتتكلّف بذلك الشريعة الإسلامية من خلال ما نصّت عليه بحق الفعاليات التي تتعارض مع المثل والغايات التي يؤمن الإسلام بضرورتها.

### ٣ - مبدأ العدالة الاجتماعية

حدّد الإسلام مفهوم العدالة الاجتماعية عبر مبدأين، هما:<sup>(٢)</sup>

#### أ - مبدأ التكافل العام

لقد عمل الإسلام على كفالة الحد الأدنى واللائق في مستوى المعيشة لسائر أفراد المجتمع الضعفاء من خلال تحقيق عدالة توزيع الدخل والثروة بينهم ووفقاً للقواعد يتم تحديد مستوى المعيشة اللائق بحسب الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية (المأكل والملبس والسكن ووسائل النقل والاتصال وتكوين الأسرة والتعليم والضمان الصحي لكل أفراد المجتمع).

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المجال: «إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما متّع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»<sup>(٣)</sup>.

ويقول في رسالة لعامله على مكّة قثم بن العباس: «وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة

(١) اقتصادنا، صص ٣٢٥ - ٣٢٧.

(٢) لاحظ: اقتصادنا، صص ٣٣٠ و ٣٣١.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم، ٣٢٨.

والخلّات»<sup>(١)</sup>.

وماذا سيحدث لو طغى الناس الأثرياء وانحرفوا عن قانون العدالة وتركوا الفقراء يكابدون الحاجة والحرمان؟!

إنّ الذي سيحدث حينئذٍ هو النتائج الخطيرة التالية:

١ - الطبقة: حيث تتكدّس الثروات عند مجموعة من الناس، بينما يكتوي الآخرون بنار البؤس والحرمان. وبمرور الأيام يزداد الأثرياء ثروة وترفعاً، ويزداد الفقراء تعاسة وانعزلاً. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «اضرب بِطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً»<sup>(٢)</sup>.

ويندّد الإمام عليه السلام بشكل صريح بالمجتمع الطّبقي، فيقول عليه السلام في رسالته لعثمان بن حنيف واليه على البصرة: «أما بعد، يا بن حنيف: فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان. وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ، عائلهم مجفواً، وغنيهم مدعو»<sup>(٣)</sup>.

٢ - الجريمة والانحراف: فإنّ الفقر والحاجة الملحة تدفعان إلى الجريمة والفساد كالنهب والسَّرقة والاحتيال.

يقول الإمام عليه السلام: «وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنيه»<sup>(٤)</sup>.

٣ - الاضطرابات الاجتماعية: فإلى كم سيصبر الفقراء على ألم الجوع ويتحمّلون الحاجة والحرمان؟! بل لا بدّ وأن يتورّم الحقد في قلوبهم فينفجّروا في ثورة عارمة. يقول عليه السلام: «الحيف يدعو إلى السيف»<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الكتاب، ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة، ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب، ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، قصاص الحكم، ٣٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ٤٧٦.

ب- مبدأ التوازن الاجتماعي<sup>(١)</sup>

من أحد السياسات الأصولية في المذهب الاقتصادي الإسلامي، هو إيجاد التوازن الاجتماعي وتعديل الثروات.

وفي خضم هذه السياسة، تُهيأ للجميع الأرضية اللازمة للحصول على الدخل المعيشي الذي تتقوم به حياتهم الاقتصادية والعيش الكريم، ومن جانب آخر تحول دون تكدس الثروات وانقسام طبقات وشرائح المجتمع، وذلك من خلال الوسائل التي يمتلكها الحاكم الإسلامي لتطبيق تعديل متكامل للثروات.

لذا، فإن أفراد المجتمع مع أنهم غير متساوين على الصعيد المعيشي، ولكن الجميع يتمتع بمقدار ملائم من العيش والرفاهية النسبية. وبهذا الترتيب يمكن استئصال الفقر نهائياً من المجتمع بالاستفادة من تطبيق التوازن الاجتماعي.

## السهولة والاعتدال والمرونة في الشريعة الإسلامية

من أسرار نجاح الشريعة الإسلامية في الأوساط المختلفة من الناس لاسيما الأوساط المتحضرة منهم هي سهولة درك مفاهيم التعاليم الإسلامية والاعتدال الذي تتسم به هذه الشريعة العظيمة في أحكامها وتوجيهاتها التي استطاعت النفوذ في أوساط الناس والشعوب المختلفة ومن شتى القوميات والنزعات الفكرية فلم يروا فيها ما يتعارض مع نظام الفطرة الإنسانية والوجدان بل انها تنسجم معها بشكل كامل ولا ريب في ذلك لأن الشريعة الإسلامية إنما نبعت الله تعالى العالم بأسرار خلقته وما ستؤول إليه المخلوقات قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيعرض الإسلام تعاليمه الرائعة للناس بأسلوب واضح وبعيد عن أي إبهام

(١) راجع: المباني الفقهية للاقتصاد الإسلامي، محمد مهدي كرمي، و محمد بورمند، ص ١٧٦، بالفارسية.

(٢) الملك: ١٤.

وخاصة المجال العقائدي المرتبط بالمسائل الأساسية التي يجب أن يعتقد بها الإنسان عن بصيرة وبقين تام وبعيد عن أي نوع من أنواع الشك والترديد، ففي مجال معرفة الله تعالى جاءت التعاليم بشكل واضح وسلس كما جاء في سورة التوحيد القصيرة في آياتها والكبيرة في مضامينها من أروع أسلوب صيغت فيه عقيدتنا بالله تعالى.

وأما في المجال الأخلاقي فللإسلام حضوره المتميز بما يمثله من منظومة متكاملة ومعتدلة إلى حد كبير ويدعو إلى الخصال الأخلاقية الراقية المنسجمة مع طبيعة الإنسان والعالم المحيط من حوله فأكد على الصدق والأمانة وكثير من السمات الخلقية الرفيعة والتي يمكن أن تجتمع في مبدأ التقوى الذي دعا إليه الإسلام من خلال التعاليم القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، وكثير من الآيات التي وردت في هذا المضمون.

وأما في مجال الأحكام التي جاء بها الإسلام نراه ينفي العسر والحرج في أحكامه ويدعو إلى السهولة فغرض الدين هو هداية البشرية إلى الطريق المستقيم والرقي والاستقرار والعسر والحرج لا يناسب سهولة الشريعة وسماحتها، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وكما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(٥)</sup>، وعن الرسول الكريم ﷺ أنه قال واصفاً نفسه وشريعته الإسلامية الخالدة: «لم يرسلني الله تعالى

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) البقرة: ٢٨٠.

(٤) المائدة: ٦.

(٥) الفتح: ١٧.

بالرهبانية ولكن بعثني بالحنيفة السهلة السمحة»<sup>(١)</sup>، ومن الأدعية الماثورة عن الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية: «اللهم ... واجعلني ممن يلقاك على الحنيفة السمحة ملة إبراهيم خليلك، ومحمد صلى الله عليه وآله حبيبك ورسولك، عاملاً بشرائعك، تابعاً لسنة نبيك، آخذاً به، متأدباً بحسن تأديبك، وتأديب رسولك صلى الله عليه وآله، وتأديب أوليائك الذين غذوهم بأدبك، وزرعت الحكمة في صدورهم، وجعلتهم معادن لعلمك صلواتك عليهم»<sup>(٢)</sup>.

فإن رمز تقدّم الإسلام ونجاحه الباهر يكمن في سهولته واعتداله والتنزّه عما يمتنع العقل السليم عن قبوله والتي يوجد منها الكثير في الشرائع الأخرى.

فالناس سواسية بنظر الإسلام والإنسان إذا ما التزم بفرائض الإسلام واتبع أوامر الله تعالى فسيحظى بقبول الله تبارك وتعالى وستكون الجنة مثواه وسيتهيئ إلى السعادة الأبدية، ومع الإعراض عن أوامر الله تعالى ومخالفتها فسوف لا تكون عقباه محمودة حيثئذ.

فوضوح الإسلام وامتلاكه تعاليم عظيمة منسجمة بشكل تام مع الفرد البشري ومجالاته المختلفة في هذه الحياة ساعد كثيراً في تقدم هذا الدين في جميع أرجاء العالم بما يمتلكه الإنسان المؤمن من إيمان وعزم ببركة التعاليم التي جاء بها نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله من قبل الله تعالى العليم بعباده واللطيف بهم والحكيم في أفعاله.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والاخلاص وخلع الأنداد والفترة الحنيفية السمحة ولا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والاخلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٤٩٤.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٦٨.

الله ... وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً وأرسله كافة إلى الأبيض والأسود والجن والانس..»<sup>(١)</sup>.

فقد جاءت رسالة الإسلام مرنة وسهلة ومنسجمة تصلح لكل زمان ومكان ولكل أفراد البشر، وأمّا العقائد والعبادات التي جاءت في الإسلام فقد جاءت قطعية ومفصلة وثابتة لا تقبل التبديل ولا التعديل وإلا لما كان صالحاً لكل زمان ومكان وبه تتم هداية البشرية جمعاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى في نعمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن بها تمام رسالة الإسلام وبها يتم رضا الله تبارك وتعالى هذا الدين كدين ثابت لا يقبل التغيير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### مميزات نبوته عليه السلام

امتازت نبوة نبي الإسلام عليه السلام بكثير من الخصائص ميّزتها عن نبوات الأنبياء عليهم السلام من قبله بميزات كبيرة وعظيمة وهي أكثر من أن تُعدّ وتحصى، ويمكن بيان أبرزها في النقاط التالية:

### ١ - عالمية نبوته ورسالته عليه السلام

إنّ الله تعالى أرسل نبينا عليه السلام إلى كافة الناس وجعل رسالته خالدة ما بقي الدهر وجعل لها من المقومات والخصائص ممّا يخوّنها أن تكون باقية وعالمية تصلح لأن تكون قانوناً عاماً لكل أفراد البشر بدون استثناء، وهذا ممّا نطق به القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، قال تعالى للنبي عليه السلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٧.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) المائدة : ٣.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً بتوجيه الخطاب إلى كافة الناس بالأمر بتصديقه واتباعه لما في ذلك هدايتهم ورشادهم: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه مبيّناً أن الرسول ﷺ سيظهر دينه على كل الأديان ويعم الهدى والحق على كافة الناس: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وجاء عن النبي الكريم ﷺ أنه قال: «إن الله بعث كل نبي كان قبلي إلى أمته بلسان قومه، وبعثني إلى كل أسود وأحمر بالعربية»<sup>(٤)</sup>.

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن نبي كان قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر...»<sup>(٥)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً ﷺ شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى... وأرسله كافةً إلى الأبيض والأسود، والجن والإنس»<sup>(٦)</sup>.

## ٢ - انسجامها مع الفطرة والعقل السليمين

الفطرة الإنسانية هي الأساس والأصل في بناء صرح التعاليم الإسلامية وهي ميزة كبيرة من ميزاتها المبهرة، بحيث لا يستطيع انكارها المنكرون؛ لثباتها وكونها منبع لا يتطرق إليه الشك والترديد لأنها عامّة لجميع أفراد الإنسان.

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) التوبة: ٣٣.

(٤) الأمالي، الطوسي، ص ٥٧، ح ٨١؛ بشارة المصطفى، ص ٨٥.

(٥) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٤٨٤.

(٦) المحاسن، ج ١، ص ٤٤٨، ح ١٠٣٥.

والفطرة هي هداية إلهية توجد في كل فرد من أفراد الانسان، ومثلها مثل البوصلة التي تميّز للإنسان الطريق الصحيح من غيره وتدله عليه، حتى الاشخاص المنحرفون فإنهم لا بد وأن يشعروا في لحظة معينة من حياتهم بأنهم قد سقطوا الى الخطيئ، وهذا بفعل هذا الانذار الصادر عن الفطرة لتذكير الانسان بأنه انحرف عن جادة الصواب. فمِن خصائص الفطرة الإنسانية كونها أمراً واحداً مشتركاً بين جميع أفراد الإنسان ولا يحدّها زمان أو مكان، وتتصف أيضاً بالظهور مع تفاوتها في ذلك شدة وضعفاً بحسب مراتب حال الأفراد، ويمكن للفطرة أن تضمحل وتصاب بالخمول ولكن لا يمكن أن تصل إلى حدّ الانعدام، كما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في إشارة منه إلى دور الأنبياء عليهم السلام بالنسبة إليها؛ حيث قال: «بعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياء؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول»<sup>(١)</sup>. فهي واحدة من السنن الإلهية الجارية في خلقه ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءت نبوة نبي الإسلام عليه السلام ورسالته العظيمة منسجمة ومتلائمة مع متطلبات هذه الفطرة، لكن هذا الأمر يتوقّف على وجود أشخاص لديهم القدرة الكافية والعلم الكامل والاطلاع الواسع بأحكام وقوانين هذه الشريعة بعد النبي عليه السلام؛ ليؤدّوا وظيفتهم الشرعية تجاه الدين الإسلامي بحفظ أحكامه ونشرها وتبيينها وتفسير آيات القرآن الكريم؛ حتى يؤدّوا الدور الذي كان يمارسه النبي تجاه رسالته السماوية: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء هم الذين اختارهم الله ورسوله ليكونوا قراء لكتابه العزيز بنص حديث

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، صفة خلق آدم عليه السلام.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) النحل: ٤٤.

الثقلين: «إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكنم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...»<sup>(١)</sup>.  
ووظيفتهم هذه لا يمكن إنكارها؛ لكثرة ما جاء فيها من التأكيدات من النبي و تناقلته كتب الفريقين.

### ٣ - الخاتمة

يُعدّ بحث الخاتمة من الأبحاث المهمة في النبوة الخاصة والتي يُبنى على أساسها أنّ نبي الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأكملهم ورسالته هي خاتمة الرسالات وأتمها وكتابه القرآن الكريم هو خاتم الكتب وأشرفها، فرسالته ﷺ تستجيب لمتطلبات المجتمع وحاجاته في جميع الأزمنة والأمكنة وما يحدث في المستقبل من تطورات وتغيّرات مهمّة حتى آخر يوم من عمر البشرية، ودلّ على ذلك القرآن الكريم والروايات الشريفة عن رسول الإسلام الكريم ﷺ والأئمّة من أهل بيته الطاهرين ﷺ، وهي بنفسها أدلّة شرعية يؤيّد ما هو موجود اليوم في الساحة الحياتية وما نشاهده من نجاحات باهرة حقّقها الإسلام وتعاليمه العظيمة ببركة نبوة نبينا محمد ﷺ حيث إن الإسلام - كما مرّ علينا في هذا الفصل<sup>(٢)</sup> - استطاع الوقوف بوجه كلّ التحديات بصلافة وثبات واحترام الإنسان وهياً له احتياجاته طبقاً لنظام العدل الإلهي وحكمته تعالى ولطفه، فيرى الجميع اليوم أنّ الإسلام ينبع من قانون متكامل وشامل فيه صفة الواقعية والانسجام مع متطلّبات الإنسان وعلى مختلف توجهاته وحالاته وفي كلّ زمان ومكان، فلا يوجد جانب من الحياة إلا وللإسلام فيه رأي وحلّ يتناول المسألة بواقعية يقدّم فيها للإنسان وللمستقبله خدمة سواءً الدينوي أم الأخروي، هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّ الإسلام يقرّ بالديانات الإلهية السابقة وهو إنّما جاء في

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٥١.

(٢) راجع: الفصل الثالث، بحث: سمات نبوته ﷺ في آثار دعوته - الوقوف بوجه التحديات.

داخل هذه المنظومة الإلهية لا خارجها فهو جاء مكمل لما جاءت به الأديان السابقة وتمم لها وهذه أيضاً نقطة مهمّة ترشدنا إلى أحقية هذه الدين الإسلامي القويم خصوصاً وأنّ الأديان السابقة قد طالها التحريف والتلاعب من قبل أتباع تلك الديانات أنفسهم أو خارجها وأنها جاءت لتلبي متطلبات حقبة زمنية معيّنة أو رقعة جغرافية خاصة أو قوم من الأقوام ولم يدع دين إلهي أنّه جاء كخاتم لجميع الأديان وأشرفها كما جاء في الإسلام.

ومن مجموع ما ذكرنا يكفي لإثبات أنّ نبوة نبي الإسلام ﷺ هي النبوة الخاتمة ولا تأتي بعدها نبوة ودينه هو الدين الإلهي الخاتم وأتمّ وأكمل جميع الرسالات وكتابه أشرف الكتب على الإطلاق وهو كما مرّ علينا في الكتاب له من المعجزات الباهرات ما حيّرت العقول والألباب<sup>(١)</sup>، فمسألة خاتمية نبوة نبي الإسلام ﷺ والدين الإسلامي هي مسألة تنبع من صلب الدين وأعماقه.

ولمّا كان نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد جاءت رسالته عامّة شاملة لكلّ أسس التقويم والهداية التي جاءت في الكتب السماوية وزائدة عليها حتى تكون صالحة لكلّ زمان ومكان، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

## معنى الخاتمية

### الخاتمية لغةً

ذكر أرباب المعاجم اللغوية لكلمة (الخاتم) معنيين، ولكن الأول منها هو أقرب إلى مراد الشرع بحسب ما فسّره علماء الدين، وإليك بيان بعضها:

(١) انظر في هذا الفصل: أدلة نبوّته ﷺ - الاتيان بالمعجزة - القرآن الكريم.

## الأول: الختم بمعنى تغطية الشيء

قال ابن منظور في لسان العرب: «وقال أبو إسحاق النحوي: معنى طبع في اللغة وختم واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء كما قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. وقال عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ معناه غطى على قلوبهم، وكذلك طبع الله على قلوبهم»<sup>(١)</sup>. وكذلك ذكر هذا المعنى الزبيدي في تاج العروس<sup>(٢)</sup>.

## الثاني: الخاتم بمعنى آخر الشيء

جاء في لسان العرب: «وخاتم القوم وخاتمهم: آخرهم، عن اللحياني، ومحمد خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام»<sup>(٣)</sup>. وقال في مختار الصحاح: «وختم القرآن بلغ آخره واختتم الشيء ضد افتتحه والخاتم بفتح التاء وكسرهما والخيتام والخاتام كله بمعنى، والجمع الخواتيم، وتختم لبس الخاتم، وخاتمة الشيء آخره، ومحمد خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والختام الطين الذي يجتم به، وقوله تعالى ﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ﴾. أي آخره»<sup>(٤)</sup>. ومن جميع ما تقدم نستنتج بأن الأصل اللغوي لهذه الكلمة هو الطبع والختم الدلان على انتهاء المختوم وتغطيته؛ لعدم الحاجة إلى الرجوع إليه.

## الخاتمية في القرآن

لقد ورد لفظ الخاتم بمشتقاته في القرآن الكريم ما يقارب من سبع مرّات، فقد جاء بلفظ نختم مرّة واحدة، وبلغظ خاتم مرّة واحدة، وبلغظ ختامه مرّة واحدة، وبلغظ

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٢٣٢ و ج ١٢، ص ١٦٥.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٦، ص ١٨٩.

(٣) لسان العرب، ج ١٢، ص ١٦٤ وكذا في: تاج العروس، ج ١٦، ص ١٩١.

(٤) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر، ص ٩٦؛ انظر: تاج العروس، ج ١٦، ص ١٨٩.

يختم مرّة واحدة، وبلفظ ختم ثلاث مرّات.

ومن الآيات الكريمة الدالة على خاتمة نبوة نبي الإسلام ﷺ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.  
كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى في نعمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنّها تمام رسالة الإسلام وكما لها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### الخاتمة في السنّة

لقد وردت تأكيدات كثيرة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام على إثبات مسألة خاتمة الشريعة والنبوة بنبوة وشريعة محمد ﷺ، بمعنى أنّه لا شريعة ولا نبوة بعدها أبداً؛ وذلك باعتبار أنّ وظيفتهم بعد النبي ﷺ هي حفظ الدين والدفاع عنه وتبيين أحكامه، فعن النبي الأكرم محمد ﷺ أنّه قال للإمام علي عليه السلام عند خروجه من المدينة: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»<sup>(٤)</sup>، وهو حديث اشتهر نقله في كتب الفريقين، بل هو من المتواترات لفظاً ومعنى عند الشيعة. وعنه رسول الله ﷺ أنّه قال لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبي بعدي»<sup>(٥)</sup>.

وقال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «... إلى أن بعث الله محمداً ﷺ لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه...»<sup>(٦)</sup>، وعنه ﷺ أيضاً في الدعاء لله عزّ وجلّ: «اجعل

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) كنز الفوائد، ص ٢٨٣.

(٥) الأمالي، للطوسي، ص ٢٥٣.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١.

شرائط صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً عليه السلام أنه قال في إرسال الرسول ﷺ: «أرسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الألسن، ففقى به الرسل، وختم به الوحي»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال في صفة النبي ﷺ: «أمين وحيه، وخاتم رسله، وبشير رحمته، ونذير نعمته»<sup>(٣)</sup>.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله عز ذكره ختم بنبىكم النبيين فلا نبى بعده أبداً، وختم بكتابتكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً»<sup>(٤)</sup>.

### ملازمة التصديق بالنبي ﷺ للاعتقاد بالخاتمية

إن التصديق بالنبي يستلزم التصديق بكل ما جاء به، ومن جملة ذلك (الخاتمية)؛ لأنها وردت على لسانه ﷺ وفي شريعته المقدسة في الكتاب الكريم والذكر الحكيم ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(٥)</sup>. كما هو مفاد هذه الآية الكريمة والأحاديث الشريفة عنه ﷺ، وعن أهل بيته المعصومين عليه السلام.

وأما التبعض بين الإيـان بدعوته وعدم الإيـان بخاتميته فإنه ملازم لتكذيب كل ما جاء به؛ لأن دعوى الخاتمية من قبل النبي الأكرم ﷺ جزء لا يتجزأ من عموم دعوته، فمؤدى عدم الإيـان بها يعني الإيـان ببعض دعوته دون البعض الآخر، وهو ما عدّه الحق تعالى من الكفر، بل هو الكفر بعينه كما حكاه بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ١٧٣.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٢٦٩.

(٥) الأحزاب: ٤٠.

(٦) النساء: ١٥٠ و ١٥١.



## الفصل الرابع: مظاهرات عقائدية (شبهات وردود)

### شبهات حول النبوة العامة

من الشبهات المطروحة فيما يخص بحث النبوة العامة وردّها: <sup>(١)</sup>

أ - يقول البعض: لماذا لم يتصل الله مباشرة بعباده وحيث لا حاجة إلى بعثة الأنبياء؟

ب - احتجت البراهمة على انتفاء البعثة بأن الرسول أما أن يأتي بها يوافق العقول أو بما يخالفها فإن جاء بما يوافق العقول لم يكن إليه حاجة ولا فائدة فيه وإن جاء بما يخالف العقول وجب رد قوله.

ج - قد يدعي آخرون بأن الإنسان ومن خلال التجربة يستطيع أن يتعرف على

العقيدة الصحيحة والنظام الصالح في هذه الحياة الدنيا فلا حاجة إلى بعثة الأنبياء؟

ويرد على هذه الشبهات كالآتي:

١ - بما أن الله متعالى عن جميع ما خلق وليس في مقدور الناس مشاهدته ومباشرته

اقتضى أن يكون له ممثلون أمام الناس، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام في كلام

له مع أحد الزنادقة: «إنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان

---

(١) انظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، صص ٤٧٠ - ٤٨٨؛ والمدرسة الإسلامية الشهيد الصدر،

ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويأشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم<sup>(١)</sup>.

٢ - من أجل الرد على هذه الشبهة ينبغي أن نميز بين إدراك العقل الفطري، وسيرة العقلاء فعلى مستوى مدركات العقل كإدراكه للحسن والقبيح واستحالة اجتماع النقيضين... وغير ذلك فإن الأنبياء فيما يأتون به من أحكام لا يمكن أن تخالف هذه المدركات، نعم يأتون بأحكام ومعارف في عمقها وسعتها وجدتها مما لا تتحملها العقول، وأما على مستوى سيرة العقلاء والتي منشؤها في الغالب العادة والألفة، فإن الأنبياء يعملون على إبطال وإبدال ما كان فاسداً منها ويصلحون أو يقرون ما كان نافعاً، فقد أقر النبي ﷺ مثلاً دية القتل ومنع من الربا والتبرج.

٣ - أما الدعوى بأن التجربة كفيلا بالكشف عن العقيدة الصحيحة والنظام الاجتماعي الصالح فإنها مردودة فيها نحن نعيش في عصر التقدم العلمي ومع ذلك فإن البشرية عامة تعيش القلق والتمزق بسبب العقائد الضالة والأنظمة الاجتماعية غير الصالحة وقد تصور دعاة هذه الفكرة أن العقيدة والنظام الاجتماعي كالقضايا المادية أمثال الصناعة والزراعة والطب فحيث أحرزت التجربة تقدماً ملموساً وثمرات طيبة في المجالات المادية حسبوا أن الأمر كذلك في مجال التشريع إن العقيدة والنظام الاجتماعي يحتاج كل منهما إلى المعرفة الدقيقة والصحيحة بحقيقة الإنسان وعلاقته بهذا الكون ابتداءً وانتهاءً وهذا ما لا يدركه الإنسان، لأن معرفة ذلك منوطة بخالق الإنسان الذي يعرف ما يصلحه ويهذبه، ولذا كانت الحاجة إلى الأنبياء والموجهين الحقيقيين للإنسان في كل وقت.

## شبهات وردود حول عصمة الأنبياء ﷺ

طرحت بعض الشبهات حول عصمة الأنبياء ﷺ؛ منها: <sup>(١)</sup>

الشبهة الأولى: إذا كان الله تعالى هو الذي قد عصم الأنبياء ونزههم عن ارتكاب المعاصي، حيث يلزم من ذلك أنه ضمن ممارستهم للوظائف والتكاليف فإنه في هذه الحالة سوف لا تثبت لهم أية ميزة اختيارية، ولا يستحقون أي ثواب لممارستهم الوظائف والتكاليف، والاجتناب عن المعاصي؛ لأن الله تعالى لو جعل أي شخص آخر معصوماً لكان مثلهم تماماً؛ لأنه تعالى هو الذي منحه العصمة.

ردّ هذه الشبهة: إنّ العصمة لا تعني الجبر على القيام بالوظائف والتكاليف وترك المعاصي، وحين نقول إن الله عاصم المعصومين وحافظهم، فلا نعني بذلك نفي استناد الأفعال الاختيارية اليهم، ذلك لأن كل الظواهر وإن استندت في نهاية سلسلتها إلى الإرادة التكوينية الإلهية، وفي ذلك المجال الذي توجد فيه عناية وتوفيق خاص من قبل الله، لذلك يتأكد أكثر إسناد العمل لله ولكن الإرادة الإلهية في طول إرادة الإنسان لا في عرضها، وليست بديلة عنها وقائمة مقامها.

لكن هذه العناية الإلهية الخاصة بالنسبة للمعصومين هي كسائر الوسائل والظروف والإمكانات الخاصة التي توفر لبعض الأفراد المحدّدين، مما يؤدي إلى أن تكون مسؤوليتهم أكبر وأثقل، وكما أن الثواب على عملهم يتضاعف فإن العقاب على المخالفة أشد، وبهذا الشكل يتم التوازن بين الثواب والعقاب، وإن كان المعصوم لحسن اختياره لا يكون مستحقاً للعقاب، ويلاحظ مثل هذا التوازن في حالة كل الذين يتمتعون بنعمة خاصة، كما هو الحال بالنسبة للعلماء والمتسبين لأهل البيت ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا<sup>(١)</sup>، فأن مسؤوليتهم أثقل وأكثر خطورة من غيرهم، وكما أن الثواب على اعمالهم الخيرة أكثر، فكذلك العقاب على ذنوبهم على تقدير ارتكابها أشد، كما ذكر ذلك في الرواية التالية: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»<sup>(٢)</sup>.

الشبهة الثانية: إن الأنبياء وسائر المعصومين عليهم السلام يعتبرون أنفسهم من المذنبين، كما ينقل عن أدعيتهم ومناجاتهم، وينقل أيضاً استغفارهم من الذنوب، ومع صدور مثل هذا الاعتراف والإقرار منهم، فكيف نعدهم معصومين؟

ردّ الشبهة: إن المعصومين عليهم السلام قد ارتفعوا إلى أسنى درجات الكمال والقرب الإلهي مع ملاحظة اختلاف مراتبهم لذلك يشعرون بأنهم مكلفون بوظائف ومهام تفوق ووظائف الآخرين، بل إنهم يعتبرون أي توجه والتفات منهم لغير معبودهم ومحبوبهم ذنباً كبيراً، ومن هنا يقفون موقف الاستغفار والاعتذار.

الشبهة الثالثة: ذكرت بعض الآيات القرآنية الدالة على عصمة الأنبياء أنهم يعتبرون من (المخلصين)، ولا يطمع الشيطان فيهم، مع أن القرآن الكريم نفسه يذكر بعض تصرفات وتأثيرات الشيطان في الأنبياء عليه السلام، منها ما ورد في الآية (٢٧) من سورة الاعراف: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾. حيث تنسب للشيطان خداعه لآدم وحواء، والذي أدى إلى خروجهما من الجنة، وفي الآية (٤١) من سورة ص على لسان أيوب: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ لِي بِرَبِّ نَصَبٍ وَعَذَابٍ﴾. وفي الآية (٥٢) من سورة الحج: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾. حيث نسب نوعاً من الوسواس الشيطانية لجميع الأنبياء.

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٧.

ردّ الشبهة: لم يلحظ في هذه الآيات أي تصرف أو تأثير شيطاني أدى إلى مخالفة الأنبياء عليه السلام للتكاليف الإلزامية، أما الآية (٢٧) من سورة الأعراف، فتشير إلى وسوسة الشيطان لآدم وحواء للأكل من (الشجرة المنهية) فإنه لم يتعلق نهي تحريمي بالأكل، بل الوارد فحسب هو تذكير آدم وحواء وتنبهها على أن الأكل منها سيؤدي إلى الخروج من (الجنة) والهبوط إلى (الأرض)، وأن وسوسة الشيطان سببت مخالفتها لهذا النهي الإرشادي، والملاحظ أن ذلك العالم لم يكن عالم تكليف، ولم تنزل شريعة بعد، وأما الآية (٤١) من سورة ص فإنها تشير إلى المتاعب والتحديات التي توجهت لأيوب عليه السلام من قبل الشيطان، وليس فيها أية دلالة على مخالفته للأوامر والنواهي الإلهية، وأما الآية (٥٢) من سورة الحج فهي مرتبطة بالعراقيل التي يواجهها الشيطان نشاطات الأنبياء عليهم السلام جميعاً، والعقبات التي يضعها في سبيل وصولهم إلى أهدافهم في مجال هداية الناس، وأخيراً فإن الله تعالى يبطل مكر الشيطان وحيله، ويثبت الدين الحق.

الشبهة الرابعة: في الآية (١٢١) من سورة طه، نسب العصيان لآدم عليه السلام، وفي الآية (١١٥) من السورة نفسها نسب النسيان له عليه السلام، فكيف تتلاءم مثل هذه النسبة مع عصمته؟

ردّ هذه الشبهة: هو ما تقدم من أن المعصية والنسيان لم يكونا مرتبطين بالتكليف الإلزامي.

الشبهة الخامسة: نسب الكذب في القرآن الكريم لبعض الأنبياء، ومن الآيات التي تدل على ذلك، الآية (٨٩) من سورة الصافات نقلاً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ مع أنه لم يكن مريضاً، والآية (٦٣) من سورة الأنبياء نقلاً عنه أيضاً: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ مع أنه هو الذي حطم أصنامهم، والآية (٧٠) من سورة يوسف: ﴿ثُمَّ أَدَّٰنَ مُؤَدَّنَ أَيَّتَهَا الْعِزْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ مع أن إخوة يوسف لم يرتكبوا السرقة.

ردّ الشبهة: إن هذه الأقوال إنما صدرت من باب التورية (إرادة معنى آخر) لأجل بعض المصالح الأكثر أهمية كما اشير إلى ذلك في بعض الروايات، ويمكن أن يستظهر من بعض الآيات أن هذه الأقوال كانت بإلهام إلهي، كما في قصة يوسف حيث يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾<sup>(١)</sup>، وعلى أي حال فلا يعتبر مثل هذا الكذب معصية، ولا يخالف العصمة.

الشبهة السادسة: ورد في قصة موسى عليه السلام أن قبلياً تشاجر مع رجل من بني إسرائيل، فقتله موسى عليه السلام، ولأجل ذلك هرب من مصر. وحين بعثه الله تعالى لدعوة الفراعنة قال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحينما ذكره فرعون بالقتل أجاب موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فمثل هذه الحكاية كيف تتلاءم وعصمة الأنبياء قبل بعثتهم؟

الرد: أولاً: إن قتل القبطي لم يكن عمدياً، بل كان نتيجة ضربة إصابته اتفاقاً ودون تعمد من موسى لقتله.

ثانياً: إن الآية ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ التي وردت على لسان موسى كانت وفق نظر الفراعنة، والمراد أنهم يعتبرونني قاتلاً ومذنباً، وأخاف أن يقتلوني قصاصاً.

ثالثاً: أمّا الجملة ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؛ فإمّا أنه قالها مجازة للفراعنة وتمشياً معهم، بأنني على تقدير أنني كنت ضالاً آنذاك فهديني الله، وأرسلني بهذه البراهين القاطعة. أو المراد من (الضلال) عدم المعرفة بعواقب العمل، وعلى كل حال، فلا تدل على مخالفة موسى للتكليف الإلزامي الإلهي.

الشبهة السابعة: في الآية (٩٤) من سورة يونس قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿فَإِنْ

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) الشعراء: ١٤.

(٣) الشعراء: ٢٠.

كُنْتُ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾.

وفي الآيات (١٤٧) من سورة البقرة، و(٦٠) من آل عمران، و(١١٤) من الانعام و(١٧) من هود و(٢٣) من سورة السجدة، ينهى فيها الله تعالى نبيه ﷺ عن الشك والترديد، فكيف يمكن القول بأن إدراك الوحي لا يقبل الشك والتردد؟

ردّ هذه الشبهة: إن هذه الآيات لا تدل على وقوع الشك والترديد فعلاً للنبي ﷺ، بل إنها في صدد التأكيد على هذه الملاحظة بأنه لا مجال للشك والترديد في رسالته، وفي أن القرآن الكريم ومحتوياته على حق، وفي الواقع أن مثل هذا الخطاب من باب (إياك اعني واسمعي يا جارة).

الشبهة الثامنة: نسبت في القرآن الكريم بعض الذنوب للنبي ﷺ وقد غفرها الله له، يقول القرآن الكريم: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(١)</sup>.

الردّ: إن المراد من الذنب في هذه الآية الشريفة، الذنب الذي وجهه المشركون للنبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها، وهو إهانته لأصنامهم وأهتهم، والمراد من المغفرة، مواجهة الآثار التي يمكن ترتبها على ذلك وإزالتها، والشاهد على هذا التفسير، إنه اعتبر فتح مكة سبباً مغفرته حيث يقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(٢)</sup>. وإذا كان المراد من الذنب المعنى المصطلح فلا وجه لتعليل المغفرة بفتح مكة.

الشبهة التاسعة: يقول القرآن الكريم حول زواج النبي ﷺ بزوجة زيد بن حارثة (متبنى النبي) المطلقة: ﴿وَوَحِّشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَى﴾<sup>(٣)</sup>. فكيف يتلاءم مثل هذا

(١) الفتح: ٢.

(٢) الفتح: ١ و ٢.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

القول مع العصمة.

الرد: إن مثل هذا العمل الذي صدر بأمر الله، ومن أجل القضاء على تقليد من التقاليد الجاهلية المنحرفة (حيث كان يعتبر المتبنى كالابن من النسب) كان يخشى النبي ﷺ أن يحملة الناس لضعف إيمانهم على ميوله ورغباته الشخصية، وان يؤدي ذلك إلى ارتدادهم عن الدين، وقد أطلع الله تعالى في هذه الآية الشريفة على أن المصلحة في مكافحة هذا التقليد المنحرف أكثر أهمية، والأجدر به أن يكون أكثر خشية وخوفا من مخالفة الإرادة الإلهية القائمة على مكافحة نبيه عمليا لهذا التقليد الخاطيء، إذن فهذه الآية ليست في مجال تأنيب النبي ﷺ وتوبيخه.

الشبهة العاشرة: إن القرآن الكريم يعاتب النبي ﷺ في مواضع عديدة، منها حين أذن النبي ﷺ لبعض الأفراد بترك القتال حيث يقول تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ومنها: تحريم بعض الأمور المحللة إرضاء لبعض زوجاته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكيف ينسجم هذا العتاب مع عصمته؟

الرد: إن مثل هذا الخطاب في واقعه (مدح بأسلوب العتاب) حيث يدل على مدى ما كان يملكه النبي ﷺ من شفقة وحنان حتى على المنافقين ومرضى القلوب، حيث لم يبعث اليأس فيهم، ولم يكشف عن أسرارهم، وأيضا حين يقدم مرضاة زوجته على رغباته وميوله، ويجرم باليمين عملا مباحا في حقه، وهذا لا يعني - والعياذ بالله - أنه يحاول تغيير حكم الله، وتحريم الحلال على الناس. وفي الواقع إن هذه الآيات من ناحية ما نظير الآيات التي تشير إلى جهود النبي ﷺ الكبيرة واهتمامه البالغ وحرصه

(١) التوبة: ٤٣.

(٢) التحريم: ١.

الشديد لهداية الكفار، أمثال قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 أو الآيات التي تدل على ما يبذله من جهد ومشقة في سبيل عبادة الله مثل: ﴿طه﴾ \*  
 مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾<sup>(٢)</sup>.  
 وعلى كل حال، فلا تنافي هذه الآيات عصمته ﷺ.

## شبهات حول النبوة الخاصة

### تمهيد

نطق القرآن الكريم والسنة الشريفة بفضائل النبي محمد ﷺ ومزاياه العظيمة والتي هي من المسلّمات عند كافة المسلمين والمتفق عليها بين جميع أهل المذاهب الإسلامية، ومسألة الطعن في فضائل النبي ﷺ ومناقبه بحجة أنها تستلزم الشرك من المسائل الخطيرة التي واجهت المسلمين في التاريخ المعاصر، لأنها حالة يمكن أن تتنامى وتتطور لتحوّل إلى حالة فكرية ثابتة وعقيدة متسلم عليها لا تقبل النقاش، فيحصل المحذور في الاستهانة بالدين ومقدّساته، ما لم يتصدّ جميع المسلمين لهذه الحالة الخطيرة بمسؤولية وحزم؛ فالرسول ﷺ هو أقدس مخلوق خلقه الله تعالى على الإطلاق، وهو طريق الوحي الإلهي وأمين الله وحجّته على الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤ و٣]، فكلّ ما يمسّ النبي ﷺ بسوء سوف يلقي بتبعاته على المسلمين أنفسهم قبل غيرهم.

والقرآن الكريم مشحون بالآيات الناطقة بفضائل الأنبياء والأولياء من الخوارق والقدرات والهبات الإلهية، حيث إنّ هناك الكثير من الآيات ما يقتضي ظاهرها صدور

(١) الشعراء: ٣.

(٢) طه: ١ و٢.

الفعل من العباد - بما فيهم الأنبياء عليهم السلام - ينفي ما ذهبوا إليه جملةً وتفصيلاً، كقوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقوله أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، أضف إلى ذلك إجماع المسلمين على فضائل النبي صلى الله عليه وآله والأولياء الصالحين، مما يشير إلى سطحية هذه الأقوال ومخالفتها لاتفاق المسلمين أجمع.

أشرنا في هذا الموضوع إلى بعض انتقادات الوهابية لروايات فضائل النبي صلى الله عليه وآله مع ردِّ لما وقعوا فيه من أخطاء، وقسمنا انتقاداتهم إلى جوانب ثلاثة: الجانب المعرفي والجانب الشخصي والجانب الغيبي.

### الجانب المعرفي

إنَّ من أسس اختيار الرسول أو الممثل عن المرسل كونه - بعد الوثوق به - عالماً واعياً بما أرسل به وأن يمتلك صفات معرفية تمكّنه من إيصال الرسالة بالشكل المطلوب.

ونلمس هذا واضحاً في التعامل الإلهي مع العظماء من أنبيائه عليهم السلام، فنرى أن الأمر يتم وفق شروط وقوانين صارمة، ويتمّ طبق علمه وحكمته تعالى، وإلا فيسفيضي الأمر إلى لزوم اللهو واللعب أو الغفلة وهو ممنوع في أفعال الحكيم عقلاً، ووردت الإشارة إلى ذلك في الشرع كثيراً، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلَاءَ تَحَدُّنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وذمّه تعالى للذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، حيث قال جلّ جلاله: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه في نفي الغفلة عنه بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنبياء: ١٧.

(٢) الأعراف: ٥١.

(٣) المؤمنون: ١٧.

ومن جانب آخر، فإن الاختيار الإلهي لشخص معين لا يمكن قياسه بأفعال الناس المشوبة غالباً بالأخطاء الكثيرة والمخالفة للمصلحة، فالنبي ﷺ ليس شخصاً عادياً بل هو محل الفيض والعلم الإلهي، قال تعالى في النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى أيضاً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن جانب ثالث، فإن طبيعة الرسالة - الدين الإسلامي - تحتم اختيار مبلغ معصوم لا يتطرق الخطأ إلى أقواله وأفعاله لئلا يتطرق الفساد إلى التبليغ فيسري النقص إلى التعاليم الإسلامية حينئذ؛ لأنها رسالة علمية وخاتمة للشرائع السابقة وباقية ما بقي الدهر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.  
فمن تلك الفضائل التي أنكرتها الوهابية في الجانب المعرفي للنبي ﷺ:

#### عصمته ﷺ

قال ابن تيمية في معرض كلامه عن النبي ﷺ: «وقد قال الله تعالى لنبية بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره»<sup>(٥)</sup>.

(١) النَّجْم: ٣، ٤.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) المصدر نفسه، ٨٥.

(٥) مجموع الفتاوى، ج ٢٢، ص ٤٠١. كما أشار إلى ذلك بإسناد الذنب إلى النبي ﷺ في: منهاج السنة النبوية، ج ٦، ص ٢١٠؛ وفي الفتاوى الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٧؛ وتبعه ابن القيم في ذلك: شفاء العليل، ج ١، ص ٢٢٣.

## الرد

١- نلاحظ بشكل واضح أنّ ابن تيمية يطرح رأيه هنا باستهانة كبيرة لمقام النبي ﷺ خصوصاً مع قوله: «فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره»، فالحديث هنا ليس عن شخصية عادية، بل عن شخصية اختارها الله طبقاً لعلمه وحكمته لهداية الخلق إلى الطريق المستقيم.

٢- إنه يظنّ أنّ النبي ﷺ لم يُهدد للصراط المستقيم والمغفرة إلا حين الفتح! مستدلاً - خطأً - بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، حيث إنّ الآية لا تنفي وجود أصل الاستقامة قبل الفتح، ولم تصرّح بوجود معصية للنبي ﷺ، كيف! والله تعالى يقول في حقّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو نظير قوله تعالى في موسى ﷺ: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾<sup>(٣)</sup> أي: يقتلي رجلاً منهم<sup>(٤)</sup> أي: القصاص بقتل القبطي، وواضح أنّ المراد بالذنب هنا الذنب الذي هم يؤاخذون عليه موسى ﷺ، فاللازم تفسير الذنب بمعنى يناسب مقام النبوة من هداية الناس إلى الطريق المستقيم، قال القرطبي: «وقال عطاء الخراساني: [ما تقدم من ذنبك] يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء. [وما تأخر] من ذنوب أمتك. وقيل: من ذنب أبيك إبراهيم. [وما تأخر] من ذنوب النبيين... وقال أبو علي الروذباري: يقول لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك»<sup>(٥)</sup>. ونسبة المعصية لشخصية كالنبي ﷺ تحتاج إلى دليل لم يذكره ابن تيمية. ومن أقوال علماء السنة في هذا الشأن:

أ- ابن جرير الطبري: «ويهديك صراطاً مستقيماً يقول: ويرشدك طريقك من الدين

(١) الفتح: ٢.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) الشعراء: ١٤.

(٤) معاني القرآن، ج ٥، ص ٦٧.

(٥) تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٢٦٣.

لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربك»<sup>(١)</sup>.

ب- الثعلبي: «[ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً] أي ويثبتك عليه، وقيل: يهدي بك»<sup>(٢)</sup>.

ج- الرازي: «[ويهديك صراطاً مستقيماً] يمتثل وجوهاً أظهرها: يديمك على الصراط المستقيم حتى لا يبقى من يلتفت إلى قوله من المضلين، أو ممن يقدر على الإكراه على الكفر»<sup>(٣)</sup>.

د- البيضاوي: «[ويهديك صراطاً مستقيماً] في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة»<sup>(٤)</sup>.

هـ - ابن كثير: «[ويهديك صراطاً مستقيماً] أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم»<sup>(٥)</sup>.

و- الألوسي: «[ويهديك صراطاً مستقيماً] في تبليغ الرسالة وإقامة الحدود، قيل: إن أصل الاستقامة وإن كان حاصلًا قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلًا قبل»<sup>(٦)</sup>.

### تمييزه ﷺ بين أهل الحق وأهل الباطل

وقال ابن تيمية في معرض رده على قول النبي ﷺ في حق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه فاروق هذه الأمة يفرق بين أهل الحق والباطل وقول ابن عمر: ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم علياً، متهماً النبي ﷺ بعدم التمييز بين أهل الحق والباطل، فقال في منهاج السنة النبوية: «يعلم بالدليل أنه كذب لا يجوز

(١) جامع البيان، ج ٢٦، ص ٩٤.

(٢) تفسير الثعلبي، ج ٩، ص ٤٢. ونحوه في: زاد المسير، ج ٧، ص ١٥٩.

(٣) تفسير الرازي، ج ٢٨، ص ٧٨.

(٤) تفسير البيضاوي، ج ٥، ص ٢٠٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٩٨.

(٦) تفسير الألوسي، ج ٢٦، ص ٩١.

نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يقال ما المعنى بكون علي أو غيره فاروق الأمة يفرق بين الحق والباطل إن عنى بذلك أنه يميز بين أهل الحق وأهل الباطل فيميز بين المؤمنين والمنافقين فهذا أمر لا يقدر عليه أحد من البشر لا نبي ولا غيره وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُنَّ نَعْلَمُهُمْ﴾ فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم عين كل منافق في مدينته وفيما حولها فكيف يعلم ذلك غيره<sup>(١)</sup>.

## الرد

١ - كلام ابن تيمية هنا واضح في التعريض بالنبي ﷺ في القدح بعلمه وقدرته على تمييز أهل الحق عن أهل الباطل - مع استهانتها الصريحة بخصوص أمير المؤمنين ﷺ كما يشعر أن اتهام النبي ﷺ هو لأجل إثباته فضيلة للإمام علي ﷺ -، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُنَّ نَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو استدلال خاطيء؛ لأن معنى [لا تعلمهم] في الآية ليس كما ذهب إليه ابن تيمية، فلم يقل الله عز وجل أنه لن يعلم النبي ﷺ بهم، وواضح أن الآية بصدد الكلام عن أن علم النبي ﷺ مصدره من قبل الله تعالى لا غير.

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: (لا تعلمهم) فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتى نعلمك بهم. والثاني: لا تعلم عواقبهم»<sup>(٣)</sup>.

وفي تفسير الجلالين: «[لا تعلمهم] بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر»<sup>(٤)</sup>.

٢ - السنة الشريفة التي ترد قول ابن تيمية:

(١) منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٢٩٠.

(٢) التوبة: ١٠١.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٤) تفسير الجلالين، ص ٢٥٨.

أ - أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى لهم صلاة الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن قبلها أموراً عظماً ثم كان من جملة ما قال: «والذي نفس محمد بيده لقد عرضت عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كالיום في الخير والشر»<sup>(١)</sup>.

ب - وأخرج مسلم أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى بساط عن الطريق ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن»<sup>(٢)</sup>.

ج - في مسند أحمد قال: «عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قال قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسمائك أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»<sup>(٣)</sup>.

### الجانب الشخصي

#### القدح في طهارة أهل البيت ﷺ

قال ابن تيمية في منهاجه: «إن الله تعالى لم يخبر أنه طهر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس، فإن هذا كذب على الله، كيف ونحن نعلم أن في بني هاشم من ليس بمطهر من الذنوب ولا أذهب عنهم الرجس»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، ج ٧، ص ٩٣؛ ومثله، صحيح ابن حبان، ج ١، ص ٣١٠؛ دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٧؛ ومثله: السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢، ص ٢٩١.

(٣) مسند أحمد، ج ٢، ص ١٦٧؛ ومثله: سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٢٥٩.

## الرد

١- إنَّ منطِق ابن تيمية وأسلوبه هذا لم يسبقه إليه أحد من السابقين، فلم يقل أحد بطهارة جميع بني هاشم! حيث يستفاد من آية التطهير ومن القرائن الحاقّة بها أنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام خصوص جماعة معيّنة من قرابة النبي صلى الله عليه وآله لا جميع بني هاشم، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام مطهرون بنص الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، واكتفى بمجرد الادعاء العاري عن دليل يعضده سوى التعريض بجميع المسلمين.

وقد خلط في كلامه بين مفهومين؛ أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم، فليس كلّ هاشمي هو من أهل البيت عليهم السلام حتى نقول بما أنّ ليس كلّ هاشمي مُطهَّر من الذنوب، إذًا، ليس كلّ أهل البيت مطهرون!

٢- يتّضح من قول ابن تيمية تجاهل سيرة وآداب جميع علماء الأمة الذين كانوا يفتتحون كتبهم ويختتمونها بقولهم بعد صلاتهم على النبي صلى الله عليه وآله: وعلى أهل بيته الطاهرين، أو الأطهار، أو الذين طهّهم الله تطهيراً، وهذه الصيغة موجودة بكثرة في كتب العلماء قديماً وحديثاً، وهو واضح لمن لديه أدنى إلمام في كتب العلماء ومن أحبَّ أهل البيت عليهم السلام وتأسى بالنبي صلى الله عليه وآله. ونقول: بعد كلّ هذا هل يصدق على ابن تيمية أنّه محبّ لأهل البيت؟! أم يصدق عليه أنه مبغض لهم وحاقد عليهم؟!<sup>(٢)</sup>

٣- ادعى ابن تيمية أن الله تعالى لم يخبر أنه طهر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس وأن هذا كذب!! في حال أنّ العلماء رووا ما يدحض قول ابن تيمية، ومنهم: روى الطبراني في المعجم الكبير: «حدثنا محمود بن محمد الواسطي ثنا وهب بن بقرية أنا خالد عن حصين عن أبي جميلة أن الحسن بن علي رضي الله عنه حين قتل علي

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) انظر: أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ص ١٤٦.

رضي الله عنه استخلف فينما هو يصلي بالناس إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرص منها أشهراً ثم قام على المنبر يخطب فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإننا أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فما زال يومئذ يتكلم حتى ما يرى في المسجد إلا باكياً<sup>(١)</sup>.

قال الهيثمي: «ورجاله ثقات»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الطفيل في حديث طويل قال: «خطبنا الحسن بن علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه... ثم قال: أنا ابن البشير أنا ابن النذير وأنا ابن النبي أنا ابن الداعي إلى الله بأذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(٣)</sup>.

وحسن الهيثمي في المجمع بعض طرقه<sup>(٤)</sup>.

ورواه الحاكم والدولابي في الذرية الطاهرة عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام<sup>(٥)</sup>. وفي الحديث الذي صححه ابن حبان، وروى نحوه الذهبي وحسنه<sup>(٦)</sup>، أن النبي صلى الله عليه وآله: «أجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(٧)</sup>.

(١) المعجم الكبير، ج ٣، ص ٩٣، ح ٢٧٦١.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المستدرک، ج ٣، ص ١٧٢؛ الذرية الطاهرة النبوية، ص ١١٠.

(٦) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٨٥.

(٧) صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٤٣٢ و ٤٣٣.

٤- إنَّ دعاء النبي ﷺ مستجاب بلا ريب فيكون دعاؤه في حقَّ أهل بيته مستجاباً. أخرج أحمد بن حنبل في مسنده قال: «ثنا عبد الله بن نمير قال ثنا عبد الملك يعنى ابن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال حدثني من سمع أم سلمة تذكر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت لها عليه فقال لها ادعى زوجك وابنيك قالت فجاء على والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيرى قالت: وأنا أصلى في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(١)</sup>.

وأقرَّ بهذا ابن تيمية نفسه في محل آخر من منهاجه فقال: «فإن قيل فهب أن القرآن لا يدل على وقوع ما أريد من التطهير وإذهاب الرجس لكن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك يدل على وقوعه فإن دعاءه مستجاب قيل المقصود ان القرآن لا يدل ما ادعاه من ثبوت الطهارة وإذهاب الرجس فضلاً عن ان يدل على العصمة والإمامة»<sup>(٢)</sup>.

ولازم كلام ابن تيمية هذا أن يقبل بدعاء النبي ﷺ في حقَّ أهل بيته ﷺ بالطهارة وإذهاب الرجس، وإن لم يقبل بشهادة القرآن وأنكرها.

(١) مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٢؛ وقال الترمذي في سننه، ج ٥، ص ٣٦١: «حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جلى على الحسن والحسين وعلى فاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال، إنك على خير. هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روى في هذا الباب». وانظر أيضاً: المستدرک، للحاكم النيسابوري، ج ٢، ص ٤١٦.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٧، ص ٧٩.

كما أنّ المعروف عن ابن تيمية أنّه لم يترك حديثاً في مناقب أهل البيت عليهم السلام إلا وعلّق عليه بتضعيف أو تشكيك فيه، إلا أنّنا لم نقف على ذلك بخصوص هذا الحديث، وهذا يشير إلى عدم وجود ما يضعّفه أو يسمح له في التشكيك فيه، مضافاً إلى إنّ هذا الحديث مروي عند أهل السنة وقد صحّحوه، كما ورد أعلاه.

## الجانب الغيبي

### نبوته صلى الله عليه وآله

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً وفي رواية متى كتبت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذٍ وهذا جهل فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره وقد قال له: (وكذلك أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ وفي الصحيحين: أن الملك قال له - حين جاءه - اقرأ، فقال: لست بقارئ ثلاث مرات»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: «ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً البتة كما قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا المثبت في المصدر، أما الآية الكريمة فهكذا: ﴿... بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ

الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٨، ص ٢٨٢.

(٣) هداية الحباري في أجوبة اليهود والنصارى، ج ١، ص ٦٠. وأكّد على ذلك في: الصواعق المرسلّة، ابن قيم الجوزية،

## الرد

إنّ كلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية هذا يشير إلى نفي العلم والإيمان عن النبي ﷺ قبل الوحي، في حال أن النبي ﷺ كان يعلم بأنّه نبي وهو في سنّ قبل البعثة، وكان ﷺ يسمع كلام الأحجار وهي تسلّم عليه بالنبوة، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة، ومنها:

في صحيح مسلم عن أنس بن مالك «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم في صحيحه أيضاً وغيره عن جابر بن سمرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»<sup>(٢)</sup>.

## ذكره ﷺ في العبادات والأدعية

قال ابن تيمية في منهاجه: «والفقهاء متنازعون في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وجمهورهم لا يوجبها ومن أوجبها يوجب الصلاة عليه دون آله»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم، ج ١، صص ١٠١ و ١٠٢؛ وما في معناه: مسند أحمد، ج ٤، ص ١٨٥؛ مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٥٥.

(٢) صحيح مسلم، ج ٧، ص ٥٩؛ وأيضاً: سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٣) منهاج السنة النبوية، ج ٥، ص ٥٩٥.

وأكد ذلك بقوله: «بل منهم من لا يوجب إلا الصلاة عليه دون آله كما هو معروف في مذهب الشافعي وأحمد، فعلى هذا لا تجب الصلاة على آله»<sup>(١)</sup>.

## الردّ

ادعاه أن جمهور الفقهاء لا يوجبون الصلاة على النبي ﷺ وآله عليهم السلام، ادعاء باطل لا وجه له، حيث إن مذهب الشافعي وأحمد وبعض المالكية الوجوب. ومن أقوالهم: قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني: «مسألة: قال (ويتشهد بالتشهد الأول ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد) وجملته أنه إذا جلس في آخر صلاته فإنه يتشهد بالتشهد الذي ذكرناه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الخرقى، وهي واجبة في صحيح المذهب [يعني المذهب الحنبلي، وهو مذهب ابن تيمية في الظاهر] وهو قول الشافعي وإسحاق... وظاهر مذهب أحمد وجوبه فإن أبا زرعة الدمشقي نقل عن أحمد أنه قال: كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة واجبة فظاهر هذا أنه رجع عن قوله الأول إلى هذا»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيمية في المبدع: «والصلاة على النبي ﷺ في رواية اختارها الخرقى وفي المغني وهي ظاهر المذهب وصححها في الشرح وجزم بها في الوجيز لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾ [الأحزاب: ٥٦] والأمر للوجوب. ولا موضع تجب فيه الصلاة أولى من الصلاة المفروضة، وعنه: ركن قدمها في المحرر والفروع وصححها في المذهب والوسيلة، وذكر ابن هبيرة أنها المشهورة وأنها اختيار الأكثر لحديث كعب. وعنه: سنة قال المروزي لأبي عبد الله: إن ابن

(١) منهاج السنة النبوية، ج ٥، ص ٥٩٨.

(٢) المغني، ج ١، ص ٥٨٠.

راهويه يقول لو أن رجلاً ترك الصلاة على النبي ﷺ في التشهد بطلت صلاته فقال: ما اجترئ أن أقول مثل هذا. وفي رواية: هذا شذوذ<sup>(١)</sup>.

وفي الإنصاف للمرداوي الحنبلي: «قوله (والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في موضعها). يعني أنها واجبة في التشهد الأخير وهو إحدى الروايات عن الإمام أحمد جزم به في العمدة والهادي والوجيز واختارها الخرقى والمجد في شرحه وابن عبدوس في تذكرته وصححها في النظم والحاوي الكبير. قال في المغني هذا ظاهر المذهب وقدمه في الفائق. وعنه أنها ركن وهي المذهب وعليه أكثر الأصحاب»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير تلميذ ابن تيمية - شافعي المذهب - في تفسيره: «إنا قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به وبه قال إسحاق بن راهويه والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله تعالى حتى إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله وممن حكاه البندنجي وسليم الرازي وصاحبه نصر - بن إبراهيم المقدسي ونقله إمام الحرمين وصاحبه الغزالي قولاً عن الشافعي والصحيح أنه وجه على أن الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم والغرض أن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) المدع شرح المقنع، ج ١، ص ٤٩٧؛ ونحوه ما ذكره صاحب سبل السلام، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) الانصاف، ج ٢، ص ١١٦.

في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدم والله الحمد والمنة فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

### الشكوى إليه ﷺ

قال ابن تيمية في منهاجه ردّاً على العلامة الحلبيّ: «وكذلك ما ذكره من حلفها أنها لا تكلمه ولا صاحبه حتى تلقى أباهاً وتشتكي إليه أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمة رضي الله عنها فإن الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى كما قال العبد الصالح إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك التكلان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ولم يقل سلني ولا استعن بي وقد قال تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ \* وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾»<sup>(٢)</sup>.

### الردّ

إنّ منعه من الشكاية إلى النبي ﷺ أمر عجيب؛ لأنّ هذا ممّا لا ينكره أحد، فإنّ الأمّة وأصحاب النبي ﷺ اشتكوا إليه شتى أنواع الشكايا، فمنهم من شكا الفقر والفاقة وقلة المطر وغير ذلك ممّا هو متعارف عليه بين جميع الناس.

وأما استدلاله بالقرآن الكريم، فالصحابة يعلمون أنّ الشكوى لرسول الله ﷺ هي شكوى لله عز وجل وهي من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أُوْفِيَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٥٠٩.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٣) الفتح: ١٠.

ومنها شكايه عمر بن الخطاب للنبي ﷺ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره: «أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشكو إلى الله وإليك الذي صنعت قال «وما صنعت؟» قال إني سولت لي نفسي فوقعت على أهلي بعدما نمت وأنا أريد الصوم فرعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما كنت خليفاً أن تفعل» فنزل الكتاب أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج إسحاق بن راهويه: «عن خويلة بنت ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشكو إليه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله، فإنما هو ابن عمك» فما برحت حتى أنزل القرآن ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى العرض. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «تعتق رقبة»...»<sup>(٢)</sup>.

### الخاتمة

تمثل النبوة ظاهرة ربانية في حياة الإنسان لتحقيق هدف الباري تعالى من خلقه الإنسان وهو هدايته وتكامله بعد معرفة ربه وكيفية طاعته وعبادته عز وجل، والأخذ بيد الإنسان إلى جادة الصواب وحل الإشكالات التي يواجهها على الصعيد الفردي أو الاجتماعي وفي شتى جوانب الحياة.

فالمجتمع بحاجة إلى قانون متكامل ينتظم تحته، والإنسان يميل إلى الاجتماع والتمدن، وهذا القانون يحتاج إلى أن يكون شاملاً لجميع جوانب الحياة البشرية، وهذا بدوره يحتاج إلى أن يكون المقنن على معرفة تامة بمن وضع له القانون؛ وهو الإنسان،

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) مسند ابن راهويه، ج ٥، ص ١٠٣.

ولن نجد في الوجود موجوداً أعرف بالإنسان من خالقه، يقول سبحانه: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.  
 فإن كان استقرار الحياة الاجتماعية للبشر متوقفاً على التقنين الإلهي، فواجب في حكمته تعالى إبلاغ تلك القوانين إليهم عبر واحد منهم يرسله إليهم، والحامل لرسالة الله سبحانه هو النبي المنبئ عنه، والرسول المبلّغ إلى الناس، فبعث الأنبياء واجب في حكمته تعالى حفظاً للنظام المتوقف على التقنين الكامل. وإلى هذا الدليل يشير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### صفات النبي

إنَّ الله تعالى يجعل النبوة لمن يصطفيه ويختاره للسفارة بينه وبين عباده، ومن تتوفر فيه الأهلية الكاملة، فهو الذي يرشد الناس ويقودهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ويكون مثلهم الأعلى في تطبيق شريعة الله وبيان أحكامها.  
 فالنبي يتّصف بأكمل الصفات الخلقية والعقلية، مثل الكرم والجود، وسماحة النفس والصبر، والذكاء وقوة الفكر والشخصية وتدبير أمور الناس، ولولا ذلك لما تمكّن من تدبير شؤون الناس وقيادتهم وفق الشرائع الإلهية.  
 كما يتّصف النبي بحسن الصفات الجسدية، وجمال الصورة، وكذلك طهارة النسب والمولد، وهو منزّه عن الرذائل قبل بعثته أيضاً، كي لا يكون محلاً للنفرة بين الناس ولتطمئن إليه القلوب.

والأنبياء كلهم إخوة، ومن سلسلة نسب واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

(١) الملك: ١٣ و ١٤.

(٢) الحديد: ٢٥.

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .  
فآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، إنما جاؤوا من قبل إله واحد، وكانت دعوتهم واحدة، وغايتهم واحدة، وسلوكهم واحد، كلهم يأمرون بالخير وكلهم ينهون عن الشر، ويدعون إلى الله الحق، ويحثون على العدل.  
وأساس علم أنبياء الله تعالى الوحي، وملاك أمرهم إيقاظ الضمير، وعماد دعوتهم الحق، أولهم يصدّق آخرهم، وآخرهم يصدّق أولهم، وأوسطهم يصدّق الأول ويدعو للأخير فلا اختلاف في دعوتهم في جوهرها وحقيقتها، وإن اختلفت في صيغها وبعض كيفياتها.

### النبوة الخاصة لنبي الإسلام ﷺ

بعد أن عمّت سيادة الشرك وعبادة الأصنام على وجه الأرض، وعانت الشعوب في مختلف الحضارات، ألوان الظلم والحيف وسيطر اليأس على نفوس الناس وعقولهم، وغدوا يعيشون مرارة الخوف والظروف الصعبة، بعث الله تعالى الخالق اللطيف والرحيم بخلقه النبي محمدًا ﷺ هدايتهم بعد فترة من الرسل ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولًا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ لينجيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور فجاء بدين الإسلام الدين الكامل والشامل على الخلق أجمعين إلى قيام يوم الدين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وجاء بمعجز ذهل الخلق أجمعين أن يأتوا بمثله وفيه من التعاليم والحكمة الراقية الكفيلة بهداية البشرية إلى الرقي والازدهار: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾.

فنشر رسول الله ﷺ دين التوحيد، ورفض الوثنية وعبادة الأصنام، وعمل على إقامة العدل وبسط القسط، ورفض التمييز وحماية المضطهدين والمظلومين.

(١) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

(٢) المائدة: ١٩.

(٣) الجمعة: ٢.

## عوامل أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء ﷺ

هناك عوامل كثيرة جداً كانت وراء أفضلية النبي ﷺ على سائر من خلق الله تعالى من الموجودات الإمكانية، نذكر منها:

١ - اجتماع الفضائل الأخلاقية فيه ﷺ حتى قال عنه تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها»<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام علي عليه السلام في صفة النبي ﷺ: «اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصايح الظلمة، وينابيع الحكمة»<sup>(٣)</sup>.

٢ - التفاضل بلحاظ منزلة النبي ﷺ وكثرة معاجزه، فقد روي عنه ﷺ في بيان فضله على إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال: «إن كان إبراهيم خليله فأنا محمد حبيبه»<sup>(٤)</sup>.

٣ - عالمية رسالته ﷺ؛ حيث قال تعالى في رسوله الكريم ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٥)</sup>، وهو يدل بوضوح على أنه أفضل من سائر الأنبياء والرسل ﷺ وأن مهمته أعظم من مهمة جميع الأنبياء الذين أرسلوا إلى قوم بخصوصهم، كأنبيا بني إسرائيل ونحوهم.

٤ - اقتران اسمه وذكره باسم وذكر الله تعالى على الدوام، ونبينا ﷺ قد اقترن اسمه وذكره مع الله تعالى، كما جاء ذلك في تشهد الأذان والإقامة: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، وفي تشهد كل صلاة واجبة كانت أم مندوبة: (أشهد أن لا إله إلا الله... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(٦)</sup>، مما لم يكن هذا الأمر حاصلًا لأي نبي من الأنبياء والرسل ﷺ.

(١) القلم: ٤.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٩٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

(٤) الاحتجاج، ج ١، ص ٥٧.

(٥) الفتح: ٢٨.

(٦) الشرح: ٤.

٥- التفاضل بلحاظ التحدي برسالته، ويكفي حصول التحدي برسالة النبي ﷺ ما جاء في القرآن الكريم وحده فقد حوى من المعاجز في جوانب ومجالات مختلفة ما يفوق حدّ العدّ والوصف، فلم يأت نبيّ أو رسول كما جاء به النبي محمد ﷺ من تعاليم وقوانين راقية وعلى درجة كاملة حواها القرآن الكريم، إذ كانت جميع سوره الكريمة صالحة للتحدي، حتى أصغرها عدداً كسورة الكوثر، فتحدّى الله تعالى الجميع بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> في حين نجد نبي الله موسى ﷺ قد ذكر تشريفه بتسع آيات بينات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- التفاضل بلحاظ أفضلية الدين والعقيدة؛ فلا شك أنّ الدين الإسلامي أفضل الأديان وأكملها على الإطلاق، فلا دين بعد الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه»<sup>(٤)</sup> وعنه ﷺ أيضاً في صفة النبي ﷺ: «أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة، فمن يتبع غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته، وتنقص عروته، وتعظم كبوته، ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الويل»<sup>(٥)</sup>، وعنه ﷺ أيضاً أنّه قال في دين الإسلام: «لا شرف أعلى من الإسلام»<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) الإسراء: ١٠١.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٥) المصدر نفسه، ١٦١.

(٦) المصدر نفسه، الحكمة ٣٧١.

وفي مجال أفضلية دين الرسول ﷺ على جميع الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وعن رسول الله ﷺ يقول في هذا الشأن: «الإسلام يعلو ولا يعلى»<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام علي عليه السلام أن هذا الاصطفاء والاختيار للدين الإسلامي ليكون أفضل من جميع الأديان هو إنما تم من قبل الله تعالى واختاره لخيرة خلقه: «إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذل الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه»<sup>(٣)</sup>.

### رسالته ﷺ؛ الرسالة الإسلامية

الرسالة الإسلامية المتكاملة التي جاء بها النبي ﷺ وعمل أهل بيته الطاهرون عليه السلام على الدفاع عنها وحفظها نقية من كيد الأعداء، تمتلك عدّة معالم ميّزتها عن بقية الأديان وجعلتها تنتشر في العالم اليوم وتحظى بقبول متزايد من قبل المفكرين وفي شتى التخصصات والميادين العلمية والثقافية، ومن أبرز تلك المعالم:

١ - أنّ هذه الرسالة ظلّت سليمة ضمن النص القرآني دون أن تتعرّض لأيّ تحريف، بينما مُنيت الكتب السماوية السابقة بالتحريف وأفرغت الكثير من محتواها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٢ - أنّ النبي محمدًا ﷺ الذي جاء بهذه الرسالة، تميّز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه بتقديم رسالته بوصفها أطروحة ربّانية، وهذا أعلن أنّ نبوته هي النبوة الخاتمة، قال

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٤٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٤) الحجر: ٩.

تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول النبي ﷺ عن نفسه: «لا نبي بعدي»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقد اقتضت الحكمة الربانية التي ختمت النبوة بمحمد ﷺ أن تعد له أوصياء يقومون بأعباء الإمامة والخلافة بعد اختتام النبوة، وهم اثنا عشر إماماً، قد جاء النص على عددهم من قبل رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة: «أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم الجواد محمد بن علي، ثم الهادي علي بن محمد، ثم العسكري الحسن بن علي، ثم الحجة بن الحسن بن علي ﷺ»<sup>(٣)</sup>، لذا، فإنّ هذه الرسالة جاءت شاملة لكل جوانب الحياة وبقية حياة طرية لا تشوبها شائبة ما دامت التعاليم الإسلامية مستسقة من المصادر المقررة في الإسلام من الثقلين اللذين عليهما المدار والاعتماد وهما القرآن الكريم والأئمة من أهل البيت ﷺ.

### مميّزات نبوته ﷺ

امتازت نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ بكثير من الخصائص ميّزتها عن نبوات الأنبياء ﷺ من قبله؛ من أبرزها:

١- إنّ الله تعالى أرسل نبينا ﷺ إلى كافة الناس وجعل رسالته خالدة ما بقي الدهر وجعل لها من المقومات والخصائص ممّا يخوّها أن تكون باقية وعالمية تصلح لأن تكون قانوناً عاماً لكل أفراد البشر بدون استثناء.

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٢٧.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٧٣٩.

٢- قد جاءت نبوة نبي الإسلام ﷺ ورسالته العظيمة منسجمة ومتلائمة مع متطلبات الفطرة الإنسانية.

٣- أن نبي الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأكملهم ورسالته هي خاتمة الرسالات وأتمها وكتابه القرآن الكريم هو خاتم الكتب وأشرفها.



## المصادر

### \* القرآن الكريم

١. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، نشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف - العراق، ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
٢. الاختصاص، المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
٣. أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله وأهل بيته، محمود السيد صبيح، نشر: دار الركن والمقام، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٣ - ٢٠٠٣.
٤. الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، المفيد، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
٥. الإسلام في عصر العولمة، محمود همدى زقزوق، مكتبة الشروق، ٢٠٠١.
٦. الاعتقادات في دين الإمامية، الصدوق، تحقيق: عصام عبد السيد، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
٧. أعمال الرسل، طبعة دار الكتاب المقدس.
٨. إقبال الأعمال، ابن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٤ هـ.

٩. الاقتصاد، حسن الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ. ق.

١٠. اقتصادنا، محمد باقر الصدر، تحقيق لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر<sup>عليه السلام</sup>، نشر مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر<sup>عليه السلام</sup>، قم - إيران، مطبعة شريعت، ط ١، ١٤٢٤.

١١. الإلهيات، جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق<sup>عليه السلام</sup>.

١٢. الأمالي، الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، قم - إيران، ط ١، ١٤١٧.

١٣. الأمالي، الطوسي، تحقيق: مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، قم - إيران، ط ١، ١٤١٤.

١٤. الإمام الخميني<sup>عليه السلام</sup> وحركة الصحوة الإسلامية، محمد علي التسخيري.

١٥. إنجيل متى.

١٦. إنجيل يوحنا، طبع دار الكتاب المقدس.

١٧. الانصاف، المرادوي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

١٨. أنيس الأعلام في نصرة الإسلام، محمد صادق فخر الإسلام.

١٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، نشر وطبع مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

٢٠. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، محسن الخرازي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم - إيران، ط ٥، ١٤١٨.

٢١. البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى الحلو، نشر: دار البيروقي، دمشق - سوريا، ط ٣، ١٤٢٦.

٢٢. بشارة المصطفى، محمد بن علي الطبري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ١، ١٤٢٠.

٢٣. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، نشر منشورات الأعلمي، طهران - إيران، ١٤٠٤ - ١٣٦٢ هـ. ش.
٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، نشر منشورات مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
٢٥. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥.
٢٦. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، علي شرف الدين الحسيني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - الحوزة العلمية، قم - إيران، ط ١، ١٤٠٧ - ١٣٦٦ هـ. ش.
٢٧. التحليلات التي تواجهها الثقافة الإسلامية، خالد القاسم، موقع سودانيل، ١٤٣٢.
٢٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، نشر: مركز الكتاب للترجمة والنشر، ط ١، ١٤٠٢.
٢٩. تفسير ابن كثير، ابن كثير، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٢ - ١٩٩٢.
٣٠. تفسير الألوسي (روح المعاني)، الألوسي.
٣١. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل)، البيضاوي، نشر دار الفكر.
٣٢. تفسير الثعلبي، الثعلبي، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢.
٣٣. تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٣٤. تفسير الرازي، الفخر الرازي، ط ٢.
٣٥. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، دار الشعب.
٣٦. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، نشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران، ط ٣، ١٤٠٤.

٣٧. تفسير النسفي، النسفي.

٣٨. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ط ١، ١٤١٦.

٣٩. التوحيد، الصدوق، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ - ١٩٩٥.

٤١. الخرائج والجرائح، الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، نشر: مؤسسة الإمام المهدي، قم - إيران، ط ١، ١٤٠٩.

٤٢. الخصال، الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٣ - ١٣٦٢ هـ ش.

٤٣. درآمدی بر روانشناسی تنظیم رفتار با رویکرد اسلامی، محمد صادق شجاعی، دار الحديث، قم - إيران، ١٣٨٨، بالفارسية.

٤٤. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٣.

٤٥. دلائل النبوة، إسماعيل الأصبهاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع.

٤٦. الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابي، نشر: الدار السلفية - الكويت، ط ١، ١٤٠٧.

٤٧. رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر: دار القرآن الكريم - قم، ١٤٠٥ هـ.

٤٨. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، جمادى الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

٤٩. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

- البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الرابعة، ١٣٧٩ - ١٩٦٠.
٥٠. سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
٥١. السنن الكبرى، البيهقي، نشر دار الفكر.
٥٢. سير أعلام النبلاء، الذهبي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ٩، ١٤١٣ - ١٩٩٣.
٥٣. شبهاث التغريب.
٥٤. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق وتصحيح: الميرزا أبو الحسن الشعراني، السيد علي عاشور، نشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.
٥٥. شفاء العليل، ابن القيم، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٥٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، مطبعة دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧.
٥٧. صحيح ابن حبان، ابن حبان، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
٥٨. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان.
٥٩. الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني، نشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر، قم - إيران، ١، ١٤١١ هـ.
٦٠. الصواعق المرسله، ابن قيم الجوزية، نشر: دار العاصمة - الرياض، ٣، ١٤١٨ - ١٩٩٨.
٦١. العصمة، علي الميلاني، نشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم - إيران.
٦٢. عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، نشر: أنصاريان، قم - إيران.
٦٣. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، جعفر السبحاني، نشر:

٦٤. علل الشرائع، الصدوق، نشر المكتبة الحيدرية، النجف - العراق، مطبعة الحيدرية، ١٤١٩ - ١٩٩٨.
- ١٣٨٦.
٦٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، نشر وطبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٤.
٦٦. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي، نشر انصاري، طهران - إيران، ١٣٣٧.
٦٧. غزو في الصميم، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٥.
٦٨. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٦٩. القرآن الكريم وروايات المدرستين، مرتضى العسكري، نشر: الجمع العلمي الإسلامي، ط٢، طهران - إيران، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
٧٠. قرب الاسناد، الحميري القمي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط١، ١٤١٣.
٧١. قصص الأنبياء، الراوندي، تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، نشر: الهادي، ط١، ١٤١٨ - ١٣٧٦ هـ ش.
٧٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، مطبعة الحيدرية، ط٣، ١٣٨٨ هـ ش.
٧٣. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه.
٧٤. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، نشر هجرت، قم - إيران، ط٢، ١٤١٠.
٧٥. الكشف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥ - ١٩٦٦.
٧٦. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحلبي، تحقيق: آية الله حسن زاده الأملي، نشر: مؤسسة نشر الإسلامي، قم - إيران، ط٧، ١٤١٧.

٧٧. كمال الدين وقام النعمة، الصدوق، تحقيق على أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٥.
٧٨. كنز الفوائد، أبو الفتح الكراچكي، نشر مكتبة المصطفوي، قم - إيران، ط٢، ١٣٦٩ هـ. ش.
٧٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥.
٨٠. المباني الفقهية للاقتصاد الإسلامي، محمد مهدي كرمي، ومحمد بورمند، نشر معهد بحوث الحوزة والجامعة (قم - إيران) وسمت (طهران - إيران)، مطبعة مهر، ط٧، ١٣٨٥.
٨١. المبدع شرح المقنع، ابن مفلح، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت.
٨٢. مجلة ثقافتنا، محمود زقزوق، العدد ٨، ١٤٢٦.
٨٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥.
٨٤. مجمع الزوائد، الهيثمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
٨٥. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، نشر مكتبة المنصورة.
٨٦. محاسبة النفس، إبراهيم الكفعمي، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، نشر: مؤسسة قائم آل محمد عليه السلام، قم - إيران، ط١، ١٤١٣.
٨٧. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ - ١٣٣٠ هـ. ش.
٨٨. محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم.
٨٩. محمد في الأسفار المقدسة الفارسية والهندية والبوذية، فديارتي وي. علي، عبد الحق.
٩٠. محمد عليه السلام في القرآن، رضا الصدر، نشر: دفتر التبليغات الإسلامية للحوزة العلمية في قم، ط١، ١٣٧٨ هـ. ش.
٩١. محمد عليه السلام في الكتب المقدسة، سامي العامري، نشر: مركز التنوير الإسلامي، ط١، القاهرة - مصر، ١٤٢٦.

٩٢. المحيط في اللغة، اسماعيل بن عباد، تصحيح: محمد حسن آل ياسين، نشر عالم الكتاب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤.
٩٣. مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تحقيق: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ - ١٩٩٤.
٩٤. المدرسة الإسلامية، محمد باقر الصدر، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط ١، ١٤٢١.
٩٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا النوري، نشر مؤسسة آل البيت، لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ - ١٩٨٧.
٩٦. المستدرک، الحاكم النيسابوري، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٩٧. مسند ابن راهويه، اسحاق بن راهويه، نشر مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢.
٩٨. مسند أحمد، احمد بن حنبل، نشر: دار صادر، بيروت - لبنان.
٩٩. معاني الأخبار، الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ - ١٣٣٨ هـ. ش.
١٠٠. معاني القرآن، النحاس، نشر: جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩.
١٠١. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق وتخریج: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
١٠٢. المعجم الموسع للاقتصاد، حسن توانايان فرد، نشر جهان راياته، طهران - إيران، ط ١، ١٣٨٥ هـ. ش.
١٠٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس.
١٠٤. المغني، ابن قدامة، نشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
١٠٥. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، نشر: دار العلم - الدار الشامية، لبنان، ط ١، ١٤١٢.

١٠٦. المقنعة، المفيد، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم - إيران، ط ٢، ١٤١٠.
١٠٧. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، نشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦ - ١٩٥٦.
١٠٨. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦.
١٠٩. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، نشر دار الحديث، ١٤١٦.
١١٠. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم - إيران.
١١١. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الحلبي، تحقيق وشرح: المقداد السيوري، نشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط ٢، ١٤١٧ - ١٩٩٦.
١١٢. نحو ثقافة إسلامية أصيلة.
١١٣. نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي، إعداد: عبد الجواد الإبراهيمي نشر: مؤسسة أنصاريان، قم - إيران، ط ١، ١٤١٧.
١١٤. النكت الاعتقادية للشيخ المفيد رحمته الله، المفيد، تحقيق: رضا المختاري، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
١١٥. فحج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، نشر: دار الذخائر، قم - إيران، ط ١، ١٤١٢ - ١٣٧٠ هـ ش.
١١٦. فحج الحق وكشف الصدق، الحلبي، نشر مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، قم - إيران، ١٤٢١.
١١٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، نشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
١١٨. الهداية، الصدوق، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ط ١، ١٤١٨.



## الفهرس

كلمة المعهد .....	٥
المقدمة .....	٧
الفصل الأول: بحوث عامة (التعريف بمفردات الموضوع والاصطلاحات ذات الصلة).....	١١
النبوة .....	١١
النبوة في اللغة .....	١١
النبوة في الاصطلاح .....	١٤
الوحي .....	١٧
الفرق بين النبوة والرسالة .....	١٩
المعجزة ودلالاتها .....	٢١
تعريف المعجزة .....	٢٢
الأمر الخارقة للعادة .....	٢٢
نوعان للمعجزة .....	٢٤
دلالة المعجزة على صدق مدعي النبوة .....	٢٤
ميزة معجزات الأنبياء ﷺ .....	٢٥
الفصل الثاني: النبوة العامة في القرآن وروايات أهل البيت ﷺ .....	٢٧

- ٢٨..... طرق التعرّف على صدق دعوى النبوة .
- ٢٨..... أدلة مثبتة النبوة .
- ٢٨..... ١ - حاجة المجتمع إلى قانون متكامل
- ٣٠..... ٢ - حاجة المجتمع إلى المعرفة .
- ٣٢..... أدلة منكري النبوة ومناقشتها
- ٣٥..... الغاية من بعثة الأنبياء ﷺ
- ٣٥..... ١ - الدعوة إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت
- ٣٩..... ٢ - البشارة والإنذار
- ٤١..... ٣ - إقامة القسط
- ٤١..... ٤ - التزكية والتعليم
- ٤٤..... ٥ - تفجير طاقات الإنسان وإخراجه من حالة الخمود
- ٤٥..... ٦ - ردّ الشبهات وتقويم الأفكار المنحرفة
- ٤٧..... ٧ - اتمام الحجة على الخلق
- ٥١..... ٨ - تدبير شؤون الأمة عامّة وسياسة أمرها
- ٥٢..... وجوب الاعتقاد بالأنبياء ﷺ ونبذة عن عددهم
- ٥٥..... صفات النبي ﷺ
- ٥٦..... العصمة
- ٥٦..... تعريف العصمة
- ٥٨..... الحاجة إلى العصمة
- ٥٨..... الأدلة على عصمة الأنبياء والرسل ﷺ
- ٥٩..... الدليل الأوّل: العقل والوجدان
- ٥٩..... الدليل الثاني: النصوص الشرعية
- ٦١..... أصناف الأنبياء المرسلين
- ٦١..... الأوّل: الأنبياء المرسلون أولو العزم

- ٦٤..... الثاني: الأنبياء المرسلون غير أولي العزم
- ٦٥..... من أحوال الأنبياء عليهم السلام
- ٦٥..... البكاؤون
- ٦٥..... دعاء إبراهيم عليه السلام
- ٦٦..... قصة موسى حين لقي الخضر عليه السلام
- ٦٧..... إنمّا الأنبياء بشر
- ٦٨..... ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٦٨..... دروس وعبر من حياة الأنبياء عليهم السلام
- ٧٥..... الفصل الثالث: النبوة الخاصة لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله في القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام
- ٧٦..... نسبه ومولده صلى الله عليه وآله
- ٧٧..... زهده صلى الله عليه وآله
- ٧٩..... أدلة اثبات نبوته صلى الله عليه وآله
- ٧٩..... أولاً: القرائن والشواهد
- ٧٩ ..... ١ - التاريخ المشرق للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله
- ٧٩ ..... ٢ - النقاء من تلوث البيئة الاجتماعية
- ٨٠ ..... ٣ - محتوى الدعوة الإسلامية
- ٨٠ ..... ٤ - أدوات الدعوة ووسائلها
- ٨١ ..... ٥ - شخصية المؤمنين به وخصالهم
- ٨١ ..... ٦ - التأثير الإيجابي في البيئة الاجتماعية، وتأسيس حضارة عظيمة.
- ٨٢..... ثانياً: بشائر الأنبياء السابقين
- ٨٤..... تصديق النبي السابق
- ٨٥..... بشائر الكتب السابقة: النصرى واليهود والمجوس
- ٨٦..... بشائر أسفار النصرى

- ٩٠ ..... بشائر أسفار اليهود
- ٩٧ ..... بشائر المجوس
- ١٠٢ ..... ثالثاً: الإتيان بالمعجزة
- ١٠٤ ..... القرآن الكريم: معجزة النبي ﷺ الخالدة
- ١٠٥ ..... الاعجاز الأدبي في القرآن
- ١١٠ ..... المجالات الأخرى للإعجاز القرآني
- ١١٢ ..... الإعجاز القرآني في مجال أسرار الكون وأخبار المستقبل
- ١١٤ ..... معاجز أخرى للرسول ﷺ غير القرآن
- ١١٤ ..... ١ - شق القمر
- ١١٥ ..... ٢ - المعراج
- ١١٨ ..... ٣ - مباهلته مع أهل الكتاب
- ١١٩ ..... وجوب الاعتقاد بنبوته ﷺ
- ١٢١ ..... عوامل أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء ﷺ
- ١٢١ ..... ١ - اجتماع الفضائل الأخلاقية فيه ﷺ
- ١٢٢ ..... ٢ - التفاضل بلحاظ منزلة النبي ﷺ وكثرة معاجزه
- ١٢٣ ..... ٣ - عالمية رسالته ﷺ
- ١٢٣ ..... ٤ - اقتران اسمه وذكره ﷺ باسم وذكر الله تعالى على الدوام
- ١٢٤ ..... ٥ - التفاضل بلحاظ التحدي برسالته ﷺ
- ١٢٤ ..... ٦ - التفاضل بلحاظ أفضلية الدين والعقيدة
- ١٢٦ ..... تاريخ دعوته ﷺ
- ١٢٦ ..... سمات نبوته ﷺ
- ١٢٧ ..... سمات نبوته ﷺ في القرآن الكريم
- ١٢٩ ..... سمات نبوته ﷺ في آثار دعوته
- ١٢٩ ..... أولاً: سرعة الانتشار في بلدان العالم لا سيما بين الأمم المتحضرة

- ١٢٩ ..... ثانياً: رقيّ الحضارة.....
- ١٣٠ ..... ١ - الإيمان.....
- ١٣١ ..... ٢ - الحكمة.....
- ١٣٢ ..... ٣ - احترام قيمة الذات الإنسانية وكرامتها.....
- ١٣٣ ..... الكرامة في القرآن الكريم.....
- ١٣٤ ..... منازل الكرامة الإنسانية ودرجاتها.....
- ١٣٥ ..... ٤ - الحث على العمل ونبذ الجمود.....
- ١٣٥ ..... أ - أصالة العمل وأهميته.....
- ١٣٦ ..... ب - العمل، مقياس لقيمة الإنسان.....
- ١٣٧ ..... ج - العمل، معيار للثواب والعقاب.....
- ١٣٧ ..... د - العمل ونتائجه الدنيوية.....
- ١٣٨ ..... هـ - العمل الصالح؛ هدف من خلقه الإنسان.....
- ١٣٩ ..... ثالثاً: الوقوف بوجه التحديات.....
- ١٤٠ ..... التحديات الداخلية.....
- ١٤١ ..... ١ - التخلف.....
- ١٤١ ..... ٢ - ظاهرة الإرهاب.....
- ١٤٢ ..... التحديات الخارجية.....
- ١٤٣ ..... ١ - التحديّ الفكري.....
- ١٤٣ ..... أ - تحديّ لغة القرآن.....
- ١٤٣ ..... ب - الاستشراق.....
- ١٤٤ ..... ج - العولمة.....
- ١٤٦ ..... ٢ - التحديّ النفسي.....
- ١٤٦ ..... خلق حالة الخوف من الإسلام.....
- ١٤٦ ..... الخوف من صدام الحضارات.....

- آثار التحدّيات التي تواجه الحضارة الإسلامية ..... ١٤٨
- رسالته ﷺ؛ الرسالة الإسلامية ..... ١٤٩
- شمولية الإسلام وجامعيته: الاقتصاد الإسلامي نموذجاً ..... ١٥٢
- المشكلة الاقتصادية ..... ١٥٣
- الانقسام الطبقي والحلول المقترحة ..... ١٥٣
- ١ - الحل الرأسمالي: الحد الأدنى للمعيشة ..... ١٥٤
- ٢ - الحل الاشتراكي للمشكلة: تأميم وسائل الانتاج ..... ١٥٤
- التفاوت الطبقي في شكله الجديد ..... ١٥٥
- ٣ - الحل الإسلامي: الحرّية المشروطة وعدالة التوزيع ..... ١٥٥
- الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي ..... ١٥٦
- ١ - مبدأ الملكية المزدوجة ..... ١٥٦
- ٢ - مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود ..... ١٥٦
- ٣ - مبدأ العدالة الاجتماعية ..... ١٥٧
- أ - مبدأ التكافل العام ..... ١٥٧
- ب - مبدأ التوازن الاجتماعي<sup>(١)</sup> ..... ١٥٩
- السهولة والاعتدال والمرونة في الشريعة الإسلامية ..... ١٥٩
- مميزات نبوته ﷺ ..... ١٦٢
- ١ - عالمية نبوته ورسالته ﷺ ..... ١٦٢
- ٢ - انسجامها مع الفطرة والعقل السليمين ..... ١٦٣
- ٣ - الخاتمية ..... ١٦٥
- معنى الخاتمية ..... ١٦٦
- الخاتمية لغةً ..... ١٦٦
- الأول: الختم بمعنى تغطية الشيء ..... ١٦٧
- الثاني: الخاتم بمعنى آخر الشيء ..... ١٦٧

- ١٦٧..... الخاتمة في القرآن .....
- ١٦٨..... الخاتمة في السنّة .....
- ١٦٩..... ملازمة التصديق بالنبي ﷺ للاعتقاد بالخاتمة .....
- ١٧١..... الفصل الرابع: مطارحات عقائدية (شبهات وردود) .....
- ١٧١..... شبهات حول النبوة العامّة .....
- ١٧٣..... شبهات وردود حول عصمة الانبياء ﷺ .....
- ١٧٩..... شبهات حول النبوة الخاصّة .....
- ١٧٩..... تمهيد .....
- ١٨٠..... الجانب المعرفي .....
- ١٨١..... عصمته ﷺ .....
- ١٨٢..... الردّ .....
- ١٨٣..... تمييزه ﷺ بين أهل الحق وأهل الباطل .....
- ١٨٤..... الردّ .....
- ١٨٥..... الجانب الشخصي .....
- ١٨٥..... القدح في طهارة أهل البيت ﷺ .....
- ١٨٦..... الردّ .....
- ١٨٩..... الجانب الغيبي .....
- ١٨٩..... نبوته ﷺ .....
- ١٩٠..... الردّ .....
- ١٩٠..... ذكره ﷺ في العبادات والأدعية .....
- ١٩١..... الردّ .....
- ١٩٣..... الشكوى إليه ﷺ .....
- ١٩٣..... الردّ .....
- ١٩٤..... الخاتمة .....

١٩٥	صفات النبي
١٩٦	النبوة الخاصة لنبي الإسلام ﷺ
١٩٧	عوامل أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء 
١٩٩	رسالته ﷺ؛ الرسالة الإسلامية
٢٠٠	مميزات نبوته ﷺ
٢٠٣	المصادر